كي لا يُطرد الفلسطينيّون من جديد

نورمان فنكلستين
ترجمة: سماح إدريس

خصّ الباحث الأميركيّ نورمان فنكلستين مجلةَ الآداب **ببحث لعله أن يكون أشملَ ما كتبه ضمن مقالٍ واحدٍ في موضوع الصراع على أرض فلسطين، وذلك قبل أن ينشره على سبيل التقديم للطبعة الألمانيّة من كتابه** الخيال والحقيقة في الصراع الإسرائيليّ ـ الفلسطينيّ. **وإذ تشكر** الآداب **البروفسور فنكلستين، فإنّها تعرض مقاله هذا على القراء العرب، آملةً أن يغذّي النقاشَ في الحلول التي تَمْنع الكوارثَ اللاحقة عن الشعب الفلسطينيّ. ومن البدهيّ القول إنّ الأفكار الواردة في هذا البحث، كما في جميع ما يُنشر في** الآداب، **لا تعبّر كلُّها بالضرورة عن آراء هيئة التحرير. وقد أبقى المترجمُ المصادرَ بالإنكليزيّة، ولكنّه نَقَلَ إلى العربيّة تعليقاتِ المؤلّف وحدَها.**

خلفيّة

من أجل حلِّ ما كان يُسمَّى بـ «المسألة اليهوديّة» ـ أي التحدِّيات المتعاكسة، والمتمثّلة في نُفور الأغيار من اليهود (أو معاداتهم للساميّة) من جهة، وانجذابِ اليهود نحو الأغيار (أو اندماجهم بهم) من جهة ثانية ـ سعت الحركةُ الصهيونيّةُ في أواخر القرن التاسع عشر إلى خلق دولةٍ يهوديّةٍ بشكلٍ ساحق إنْ لم يكن بشكل صافٍ في فلسطين.(١) وحين نالت الحركةُ الصهيونيّةُ موطئَ قدمٍ لها في فلسطين بفضل إصدار بريطانيا العظمى وعدَ بلفور،(٢) باتَ العائقُ الأساسيُّ أمام تحقيق هدفها هو السكّانَ العربَ الأصليّين. ذلك لأنّ فلسطين لم تكن عشيّةَ الاستعمار الصهيونيّ يهوديّةً بشكلٍ ساحق بل عربيّةً مسلمةً ومسيحيّةً.(٣)

كان مفهومًا منذ البداية لدى كافّة ألوان الطيف الصهيونيّ السائد أنّ سكّان فلسطين الأصليّين لن يُذعِنوا لطردهم من أرضهم. يلاحظ زئيف ستيرنهل في هذا الصدد أنّ «الصهيونيّة، خلافًا للزعم الجاري، لم تكن تَجْهل وجودَ العرب في فلسطين. وإنْ تجاهَلَ المثقفون والقادةُ الصهاينةُ معضلةَ السكّان العرب، فذلك أساسًا لأنّهم كانوا يَعْلمون أنْ لا حلَّ لها في إطار طريقة التفكير الصهيونيّة... لقد كان كلا الطرفيْن بشكلٍ عامّ يَفْهمان واحدُهما الآخرَ جيّدًا، ويَعْلمان أنّ تحقيق الصهيونيّة لا يُمْكن أن يكون إلاّ على حساب الفلسطينيِّين العرب.» هذا وقد نَبَذَ موشيه شيرتوك (الذي صار اسمُه شاريت فيما بعد)، وبازدراء، «الآمالَ الخادعةَ» التي تراود مَنْ يتحدّثون عن ' تفاهُمٍ متبادلٍ بيننا وبين العرب، وعن' مصالح مشتركة؛ [و] عن' إمكانيّة الوحدة والسلام بين الشعبيْن الشقيقيْن.' » وأَعْلن دايڤيد بن غوريون، وهو يصوغُ بإيجازٍ بليغٍ لُبَّ المشكلة، أنّ «ليس ثمةَ مثالٌ في التاريخ على أمّةٍ تَفْتح أبوابَ بلادها لا عن اضطرار... بل لأنّ الأمة [الأخرى] التي تريد الدخولَ إليها قد عَبَّرتْ عن رغبتها فيها.»(٤)

«إنّ مأساة الصهيونيّة،» كما كتب والتر لاكور في تأريخه، «هي أنّها ظَهَرَتْ على المسرح العالميّ حين لم تعد هناك مساحاتٌ خاليةٌ على خارطة العالم.» لكنّ هذا ليس صحيحًا تمامًا. بل الأحرى أنّه لم يعد ممكنًا الدفاعُ عن خَلْقِ مثلِ هذه المساحات: فالإبادة

١ ـ Norman G. Finkelstein, Image and Reality of the Israel-Palestine Conflict (New York: 1995), pp. 7-12. (hereafter: I& R)
وفق هذا التصور للدولة اليهوديّة يُمْكن تحمُّل وجود أقليّة عربيّة لا تتعدى ١٥٪؛ راجع كتاب سيمحا فلاپان، **نشوء إسرائيل** (نيويورك: ١٩٨٧، ص ١٠٤).

٢ ـ لمعرفة الأصداء الهامّة على الحركة الصهيونيّة لاعتماد هذه الحركة على بريطانيا العظمى، انظرْ: .I&R, pp. 16-20
ولدراسة منوِّرة عن إعلان بلفور أُنظرْ: .Isaiah Friedman, The Question of Palestine (New Brunswick, NJ: 1992)

٣ ـ I&R, chapter 2.

٤ ـ Zeev Sternhell, The Founding Myths of Israel (Princeton: 1998), pp. 43-4. Benny Morris, Righteous Victims (New York: 1999), p. 91 (عن شيرتوك). Simha Flapan, Zionism and the Palestinians (London: 1979), p. 143 (عن بن غوريون)
لمزيد من المناقشة والتوثيق أُنظر: I&R, pp. 98 - 115

توقّفتْ عن أن تكون خيارًا مقبولاً من بين خيارات الغزو. ولم يكن أمام الحركة الصهيونيّة بشكل أساسيّ إلاّ أن تختار واحدًا من خياريْن استراتيجيّيْن لتحقيق هدفها، وهما ما أسماهما بَني موريس: «طريقَ جنوبيّ أفريقيا» ـ أيْ «بناء دولةٍ أپارتايديّةٍ ذاتِ أقليّة استيطانيّة تستبدّ بغالبيّة أصلانيّة ضخمة ومستغلّة» ـ أو «طريق الترحيل (الترانسفير)» بحيث «تستطيع أن تَخْلق دولةً يهوديّةً من طبيعة واحدة، أو على الأقلّ دولةً ذاتَ غالبيّةٍ يهوديّةٍ ساحقة، بنقلِ أو ترحيلِ كلّ أوْ معظمِ العرب خارجًا.»(٥)

الجولة الأولى ـ «طريق الترانسفير»

في الجولة الأولى من الغزو الصهيونيّ وَجَّهت الحركةُ الصهيونيّةُ نظرَها إلى «طريق الترانسفير.» فبغضّ النظر عن كلّ الخطابات البلاغيّة العلنيّة عن الرغبة في «العيش مع العرب في أوضاع تسودها الوحدةُ والشرفُ المتبادلُ، وفي تحويل الوطن المشترك معًا إلى أرضٍ مزدهرة» (كما جاء في المؤتمر الصهيونيّ الثاني عشرَ عامَ ١٩٢١)، كان الصهاينة منذ البدايات المبكّرة عاقدي العزم على طرد العرب. «لقد رافقتْ فكرةُ الترانسفير الحركةَ الصهيونيّةَ منذ تباشيرها الأولى،» يَكْتب توم سيغيف، مُكْملاً: «إنّ دَفْعَ العرب إلى الاختفاء dis-appearing the Arabs كان في صميم الحلم الصهيونيّ، وكان أيضًا شرطًا لازمًا لوجوده... وباستثناءات قليلة، لم يشكِّكْ أحدٌ من الصهاينة في مرغوبيّة الترحيلِ القسريّ، ولا في أخلاقيّته،» بل كان همُّهم هو التوقيتَ الصحيح. وفي هذا الصدد كتب بن غوريون، متأمّلاً خيارَ الطرد في أواخر الثلاثينيّات من القرن العشرين: «إنّ ما لا يُمْكن تصوُّرُ تحقيقِه في الأوقات العاديّة ممكنٌ حقّاً في الأوقات الثوريّة؛ فإنْ ضاعت الفرصةُ في هذه الأوقات، ولم يُنَفَّذْ في مثلِ هذه الساعات العظيمة ما هو مُمْكن، ضاع عالَمٌ بأسره.»(٦)

يشيرُ هدفُ «دفع السكّان العرب الأصليّين إلى الاختفاء» إلى بدهيّة فعليّة مدفونةٍ تحت ركامٍ من الأدبيّات الصهيونيّة التبريريّة: وهي أنّ دَفَع الفلسطينيّين إلى مواجهة الصهيونيّة لم يكن عداءَهم للساميّة، بمعنى كراهيتهم اللاعقلانيّة لليهود، وإنّما إمكانيةَ أن يُطْرَدوا من أرضهم ـ وهي إمكانيّة حقيقيّة جدّاً. «إنّ الخوف من الإزاحة والطرد،» على نحوِ ما يَسْتنتج بَني موريس بحصافة، «قد كان المحرّكَ الرئيسيَّ لعداء العرب للصهيونيّة.» وبالمثل يرى يهوشوا پوراث، في بحثه المهيب عن الوطنيّة الفلسطينيّة، أنّ «العامل الأساسيّ الذي غذّى المعاداةَ العربيّةَ للساميّة لم يكن كراهيتَهم لليهود في حدّ ذاتها بل معارضتهم للاستيطان اليهوديّ في فلسطين.» ويُكمل محاججًا أنّه على الرُّغم من أنّ العرب قد مَيَّزوا أولَ الأمر بين اليهود والصهاينة فإنّه كان «محتومًا» أن تتحوّل معارضةُ العرب للاستيطان إلى كرهٍ لجميع اليهود: «فمع ازدياد الهجرة اليهوديّة إلى فلسطين ازداد تماهي المجتمع اليهوديّ مع الحركة الصهيونيّة... وغدت الفصائل اللاصهيونيّةُ والمعاديةُ للصهيونيّة أقليّةً ضئيلةً، وصار الأمرُ يتطلّب قدْرًا كبيرًا من الرهافة لإقامة التمييز القديم [بين الصهيونيّة واليهوديّة]. ولم يكن معقولاً الأملُ في أن يحافِظَ الجمهورُ العربيُّ الأوسعُ، والغوغاءُ المشاغبةُ التي كانت جزءًا من هذا الجمهور، على ذلك التمييز.»(٧)

رَكَّزت المقاومةُ الفلسطينيّة بشكل ثابت، منذ إرهاصاتها الأولى في أواخر القرن التاسع عشر وحتى الثورةِ ـ المنعطفِ في ثلاثينيّات القرن العشرين، على قوّتَي الغزو الصهيونيّ الماحقتيْن: المستوطنين اليهود والمستوطَنات اليهوديّة.(٨) ويقابل كتّابٌ صهاينةٌ تبريريُّون، أمثال آنيتا شاپيرا، بين الاستيطان اليهوديّ «غير الخبيث» واللجوءِ إلى القوّة.(٩) ولكنّ الحقّ هو أنّ الاستيطان قد كان عنفًا **فعلاً**. فالصهيونيّة، كما يلاحظ يوسف غورني، «سعت، منذ البداية، إلى توظيف القوّة من أجل تحقيق آمال القوميّة [اليهوديّة].» ويقول إنّ «هذه القوّة تشكّلتْ إلى حدّ كبير من القُدرة الجماعيّة على إعادة بناء وطن قوميّ [لليهود] في فلسطين.» ومن خلال الاستيطان هدفت الحركةُ الصهيونيّة، بكلماتِ بن غوريون، «إلى بناء **واقعٍ يهوديّ عظيم** في هذه

٥ ـ Walter Laqueur, A History of Zionism (New York: 1976), p. 597.
ولمناقشته انظرْ: I & R, p. 198, note 13. Benny Morris, "Revisiting the Palestinian exodus of 1948," in Eugene L. Rogan and Avi Shlaim (eds), The War for Palestine (Cambridge: 2001), pp. 39 - 40.

٦ ـ Yehoshua Porath, The Emergence of the Palestinian-Arab National Movement, 1918-1929 (Frank Cass: 1974), p. 147 (عن المؤتمر الصهيوني). Tom Segev, One Palestine, Complete (New York: 2001), pp.404-5; cf. pp. 403, 406-7, 508. Morris, "Revisiting the Palestinian exodus," p. 42 (لكلام بن غوريون)
للحديث عن «التوقيت الصحيح،» أُنظر أيضًا: Shabtei Teveth, Ben-Gurion and the Palestinian Arabs (Oxford: 1985), p. 35.
ولمزيد من النقاش والتوثيق حول خطط الصهاينة في طرد الفلسطينيّين، أُنظرْ: I & R, pp. 16, 103-4, and esp. Morris, Righteous Victims, pp. 139-44, 168-9.

٧ ـ Morris, Righteous Victims, p. 37. Porath, Emergence, pp. 59, 62.

٨ ـ Neville J. Mandel, The Arabs and Zionism (Berkeley: 1976), p. 40. Yehoshua Porath, The Palestinian National Movement: From Riots to Rebellion (London: 1970), pp. 91-2, 165-6, 297.

٩ ـ I & R, chap. 4.

البلاد» يتعذّر قَلْبُه. (والتشديدُ في الأصل)[١٠] كما أنّ الاستيطانَ واستخدامَ القوة المسلّحة كانا في الواقع منجدلَيْن بسلاسة كاملة، إذ سعى المستوطنون الصهاينة إلى تحقيق «الاندماج المثاليّ والكامل بين المِحْراثِ والبندقيّة.» فيما بعد أثار موشيه دايان ذكرى تلك الأيام فقال: «نحن جيلٌ من المستوطنين، وبغير خُوذةِ القتال وماسورةِ البندقيّة لن نستطيع أن نَزْرع شجرةً أو نبنيَ بيتًا.»[١١] لقد استدلّت الحركةُ الصهيونيّةُ من المقاومة الفلسطينيّة للاستيطان اليهوديّ على عداءٍ أجناسيّ (وجينيّ) للساميّة ـ وهو ما صاغه بن غوريون بقوله إنّ المستوطنين اليهود «يُقتَلون لمجرّد كونهم يهودًا» ـ وذلك من أجل أن تُخفي هذه الحركةُ أمام العالم الخارجيّ وأمام نفسِها الشكاوى العقلانيّةَ والمشروعةَ للسكّان الأصليّين.[١٢] ومع إراقة الدماء الناجمة عن ذلك يمتلئ أنسباءُ الشهداء الصهاينة وأقرباؤهم بتلك التضحيات القوميّة، شأنهم في ذلك شأن أقاربِ الشهداء الفلسطينيّين اليوم. «أنا مغتبطٌ،» يقول أبو إحدى الضحايا اليهود مؤبِّنًا إيّاها، «لأنّني كنتُ شاهدًا حيّاً على واقعة تاريخيّة كهذه.»[١٣]

الجدير بالملاحظة الدقيقة، إزاء ما سيَحْدث لاحقًا، أنّ الرأي العام الغربيّ، بدءًا بسنواتِ ما بين الحربيْن العالميّتيْن وحتّى السنوات الأولى التي أعقبتْ نهايةَ الحرب الثانية، لم يكن مبغِضًا تمامًا للترحيل السكّانيّ كوسيلةٍ (وإنْ متطرّفة) لحلّ النزاعات الإثنيّة. فالاشتراكيّون الفرنسيّون ورجالُ الصحافة اليهوديّة في أوروبا دَعَموا في منتصف الثلاثينيّات من القرن العشرين نَقْلَ اليهود إلى مدغشقر لحلّ «المسألة اليهوديّة» في بولندا.[١٤] وتمّ الترحيلُ القَسْريُّ البارزُ الأوّل قبل الحرب العالميّة الثانية بين تركيا واليونان. وهذا الترحيلُ الوحشيّ لأكثر من مليونٍ ونصفِ مليون شخص، وأجازتْه معاهدةُ لوزان (عام ١٩٢٣) ووافقتْ وأشرفتْ عليه عصْبةُ الأمم، باتَ يُنظر إليه في كثير من الأوساط الأوروبيّة الرسميّة كسابقة ميمونة. فقد ذَكَره البريطانيّون في نهاية الثلاثينيّات لكونه نموذجًا لحلّ الصراع في فلسطين. وتشجَّع الزعيمُ الصهيونيُّ اليمينيُّ ڤلاديمير جابوتنسكي من تجارب النازيّين الديموغرافيّة في الأراضي التي احتلّوها (طاردين منها حوالى مليون ونصف مليون بولنديّ ويهوديّ، ومُحلِّين مكانَهم مئاتِ الآلاف من الألمان)، فهتف قائلاً: «إنّ العالم قد ألِفَ فكرةَ الهجرات الجماعيّة، بل بات شغوفًا بها إلى حدّ كبير. إنّ هتلر ـ أيّاً كان بُغضُنا له كبيرًا ـ قد أعطى هذه الفكرةَ سمعةً طيّبةً في العالم.» كما قام الاتّحادُ السوڤياتيُّ أثناء الحرب العالميّة الثانية أيضًا بعمليّاتِ ترحيل دمويّةٍ للأقليّات المتمرِّدة كألمان الڤولغا والشيشان الأنغوش والتتار. وقد أشار الصهاينةُ العمّاليُّون إلى «التجربة الإيجابيّة» الماثلة في عمليّات الطرد اليونانيّة ـ التركية والسوڤياتيّة دعمًا لفكرة ترحيل الفلسطينيّين (الترانسفير). وقام الحلفاءُ في مؤتمر پوتسدام (عام ١٩٤٥)، بعد أن استدعَوا إلى الأذهان «النجاحَ» (بتعبير تشرشل) الذي أصاب عمليّةَ الترحيل القسريّ التركيّ ـ اليونانيّ، بالسماح بطرد حوالى ١٣ مليون ألمانيّ من أوروبا الوسطى والشرقيّة (وقد قضى مليونان من هؤلاء تقريبًا أثناء هذا الاقتلاع المريع). بل إنّ حزب العمّال البريطانيّ اليساريّ نفسَه دعا في برنامجه السياسيّ عامَ ١٩٤٤ إلى «تشجيع العرب على الرحيل» عن فلسطين، ومثلَه فَعَلَ الفيلسوفُ الإنسانيُّ برتراند راسِلْ، من أجل فَسْحِ المجال أمام الاستيطان الصهيونيّ.[١٥]

والحقّ أنّ كثيرين في الغرب «المتنوِّر» توصّلوا إلى اعتبار ترحيل السكّان الأصليّين عن فلسطين أمرًا ملازمًا لا بدّ منه

---

١٠ ـ Yosef Gorny, Zionism and the Arabs, 1882 - 1948 (Oxford: 1987), p. 176
ولتحليل مفصّل لدراسة غورني انظرْ: I&R, chap. 1. Teveth, Ben-Gurion, p. 155.

١١ ـ Uri Ben-Eliezer, The Making of Israeli Militarism (Bloomington: 1998), p. 89 (للحديث عن «الدمج») (cf. p. 62). Martin Gilbert, Israel: A History (New York: 1998), p. 312 (لكلام دايان).
للمناقشة أُنظرْ: I&R, p. 106.

١٢ ـ David Ben-Gurion, My Talks with Arab Leaders (New York: 1973), p. 3.
ولإقرار بن غوريون بالدوافع الحقيقيّة للاعتداءات العربيّة، أُنظرْ: I&R, pp. 108, 110. Norman G. Finkelstein, The Holocaust Industry (New York: 2000), pp. 49-53, 62-3.

١٣ ـ Segev, One Palestine, p. 182.

١٤ ـ Saul Friedlander, Nazi Germany and the Jews, vol. I (New York: 1997), p. 219. Michael J. Cohen, Churchill and the Jews (London: 1985), pp. 236, 249-51, and Philippe Burrin, Hitler and the Jews (New York: 1989), pp. 59-61.

١٥ ـ لعمليّات ترحيل السكّان منذ سنوات ما بين الحربيْن العالميتيْن وحتى نهاية الحرب العالميّة الثانية، أُنظرْ: Joseph B. Schechtman, European Population Transfers, 1939-1945 (New York: 1946), and Postwar Population Transfers in Europe, 1945-1955 (Philadelphia: 1962), Alfred M. de Zayas, Nemesis at Potsdam (London: 1977), Andrew Bell-Fialkoff, Ethnic Cleansing (New York: 1996), Norman M. Naimark, Fires of Hatred (Cambridge: 2001). Segev, One Palestine, pp. 406-7 (لكلام جابوتنسكي) (see also Gorny, Zionism, pp. 270-1). See I&R, p. 103 (للحديث عن «التجربة الإيجابيّة»). Nur Masalha, Expulsion of the Palestinians (Washington: 1992), pp. 157-61 (للحديث عن حزب العمل). Bertrand Russell, "The Role of the Jewish State in Helping to Create a Better World" (1943), reprinted in Zionism (1981).

لتقدّم الحضارة. وقد جاء تماهي الأميركيِّين مع الصهيونيّة بسهولة لأنّ «النظام الاجتماعيّ للييشوڤ [اليهود في فلسطين] كان مبنيّاً على مبدإ المجتمع الرائد frontier society، حيث يَضْبط الإيقاعَ نموذجُ استيطانيٌّ رائد.» وفي منتصف الأربعينيّات فَسَّر نائبٌ بريطانيٌّ بارزٌ من حزب العمّال، هو ريتشارد كروسمان، «التجاهُلَ شبهَ الكامل للقضيّة العربيّة» من قِبل الأميركيّين بالقول: «إنّ الصهيونيّة ما هي في نهاية المطاف إلاّ سعيُ اليهوديّ الأوروبيّ إلى بناء حياته القوميّة على تراب فلسطين بالطريقة نفسها تقريبًا التي طَوَّرَ بها المستوطِنُ الأميركيُّ الغَربَ الأميركيّ. ولهذا لن يَقْفز الأميركيُّ إلى إدانةِ المستوطن اليهوديّ في فلسطين، وسيَعْتبر العربيَّ بدائيّاً يجب أن يَسْقط من أمام قافلة التقدّم.» وكروسمان، الذي قابَلَ بين العرب «القذرين» والمستوطنين اليهود المقدامين الذين «أَطْلقوا العواملَ الثوريّةَ في الشرق الأوسط،» أَعْلن باسْم «التقدّم الاجتماعيّ» دعمَه للصهيونيّة. كما أنّ هنري والاس، وهو المرشَّح الليبراليّ اليساريّ للرئاسة الأميركيّة عام ١٩٤٨، قارَنَ بين النضال الصهيونيّ في فلسطين و«القتالِ الذي خاضتْه المستعمراتُ الأميركيّةُ عام ١٧٧٦. ومثلما حَرَّضَ البريطانيّون شعبَ الايروكوا [وهم من الشعوب الهنديّة الأميركيّة الأصليّة] على محاربة المستعمِرين، فإنّهم يُحرِّضون اليومَ العربَ.»[١٦] ولكنْ كان ثمّة البعضُ خارج فلسطين فهموا بوضوح ما كان يَحْدث، وتماهَوْا مع السكّان الأصليّين. فڤيكتور كلَمْپيرِرْ مثلاً شَجَبَ مرارًا، في مذكّراته التي غدت معروفةً اليوم، «منظومةَ الأفكار» الرجعيّة التي «تتشارك» فيها الصهيونيّةُ والنازيّةُ ـ وبخاصّةٍ إيمانُهما المشتركُ بأنّه، كيهوديّ، لم يكن ولا يستطيع أن يكون ألمانيّاً. كما سَجَّلَ التالي: «لا أستطيع أن أتمالكَ نفسي من القول بأنّني أتعاطف مع العرب الذين يَثُورون هناك [في فلسطين]، والذين يتمّ' شراءُ' أراضيهم. إنّ هذا هو مصيرُ الهنود الحمر، تقول إيڤا [زوجتُه].»[١٧]

مع حلول عام ١٩٤٨ استغلّت الحركةُ الصهيونيّةُ «الأوقاتَ الثوريّةَ» للحرب العربيّة ـ الإسرائيليّة الأولى (وهذا شبيهٌ جدّاً بما فَعَله الصربُ في كوسوڤو أثناء هجوم الناتو) من أجل طردِ أكثر من ٨٠٪ من السكّان الأصليّين (٧٥٠ ألف فلسطينيّ)، ومن ثمّ تحقيق هدفها في بناء دولة يهوديّة بشكل كاسح وإنْ لم يتمّ ذلك بعدُ على مساحة فلسطين بأسرها.[١٨] وكان بيرل كاتزنلسون، المعروفُ بـ «ضمير» الحركة الصهيونيّة العمّاليّة، قد أكّد أنّه «ليس ثمّة مشروعٌ كولونياليٌّ يتّسم بالعدالة والنزاهة حيال الآخرين كما هو حالُ عملنا هنا في أرض إسرائيل.» وبالمِثل، استنتج ثيودور روزفلت في كتابه **كسب الغرب**، وهو تسبيحٌ متعدّدُ الأجزاء باقتلاع المستوطنين الأميركيّين للسكّان الأصليّين من أرضهم، أنْ «ليست هناك أمّةٌ احتلّت أرضًا فعاملتْ أصحابَها المتوحِّشين بسخاءٍ كما فعلت الولاياتُ المتّحدة.» غير أنّ متلقّي هذا «الإحسان» قد يَرْوُون قصةً مختلفة![١٩]

الجولة الثانية ـ «طريقُ جنوبيّ أفريقيا»

كان الخوفُ العربيّ (والبريطانيّ) الأساسيّ قبل حرب ١٩٤٨ وبعدها هو أن تَسْتخدمَ الحركةُ الصهيونيّةُ الدويلةَ اليهوديّةَ التي اقتطعتْها من فلسطين نقطةَ انطلاقٍ لتوسُّعٍ أكبر.[٢٠] وحقيقةُ الأمر أنّ الصهاينة اتّبعوا منذ زمنٍ مبكّرٍ استراتيجيةً «مراحل» تقوم على احتلال فلسطين جزءًا جزءًا ـ وهي استراتيجيّةٌ ستدمّ الفلسطينيّين لاحقًا لاستخدامهم إيّاها. «إنّ الرؤيا الصهيونيّة لا يُمْكن أن تتحقّق بانقضاضةٍ مريعةٍ واحدة،» كَتَبَ الكاتبُ الرسميُّ لسيرة بن غوريون، «ولاسيّما تحويلُ فلسطين إلى دولة يهوديّة. بل إنّ سياسةَ المرحلة تلو المرحلة، التي تُمليها أوضاعُ ليست مُواتيةً أبدًا، تطلّبتْ صياغةَ أهدافٍ بَدَت وكأنّها ' تنازلات! » فكان أن أذعنت الحركةُ الصهيونيّةُ لاقتراحاتِ بريطانيا والأمم المتّحدة القاضيةِ بتقسيم فلسطين ولكنْ «كمرحلة فحسب على طريق تطبيقٍ صهيونيٍّ أوسع» (كما قال بن

---

١٦ ـ (للحديث عن النظام الاجتماعيّ). Sasson Sofer, Zionism and the Foundations of Israeli Diplomacy (Cambridge:1998), p. 367
Richard Crossman, Palestine Mission (London: 1947), pp. 33, 152, 167. Kenneth Ray Bain, The March to Zion (London: 1979), p. 35 (للحديث عن والاس).
ولمقارنة مفصّلة بين الغزويْن الصهيونّي والأميركيّ، أُنظرْ: I&R, pp. 89-98, and esp. Norman Finkelstein, The Rise and Fall of Palestine (Minn.: 1996), pp.104-21. (hereafter: R&F)

١٧ ـ Victor Klemperer, I Shall Bear Witness (London: 1998), pp. 22, 38, 113, 190, 279, 305, 326, 348, 430.

١٨ ـ I&R, chap. 3
ولأدلة إضافية تدعم الفرضيّةَ في هذا الفصل انظرْ: Laila Parsons, "The Druze and the birth of Israel," in Rogan and Shlaim, War, chap. 3, and Ben-Eliezer, Making, pp. 170-81.
ولمقارنات استُدعيتْ مؤخّرًا من قِبل إسرائيليِّين في الاتجاه السائد مع الطرد الصَّرْبيّ، أُنظرْ : Finkelstein, Holocaust, pp. 70-1.

١٩ ـ Sternhell, Founding Myths, p. 173 (لكلام كاتزنلسون). Theodore Roosevelt, The Winning of the West (New York: 1889), vol. 4, p. 54.

٢٠ ـ Wm. Roger Louis, The British Empire in the Middle East, 1945-1951 (Oxford: 1984), pp. 117, 448, 614. Michael J. Cohen, Palestine and the Great Powers, 1945-1948 (Princeton: 1982), pp. 197-8, 201.

غوريون).[٢١] وكان واحدًا من مشاعر الندم الأساسيّة التي تَمَلَّكتِ القيادةَ الصهيونيّةَ في أعقاب حرب ١٩٤٨ هو فشلُها في احتلال كاملِ فلسطين. ولكنْ مع حلول عام ١٩٦٧ استغلّت إسرائيلُ «الأوقاتَ الثوريّةَ» لحرب حزيران، من أجل إنجاز المهمّة.[٢٢] وقد أكّد السير مارتن غيلبرت، في تأريخه الممتلئ حماسةً لإسرائيل، أنّ القادة الصهاينة منذ البداية اعتبروا الأراضي المحتلّة «عبئًا» غيرَ مرغوبٍ فيه «وسيُثْقل كاهلَ إسرائيل.» ويَقْترح مايكل اورنْ في بحث جديدٍ نالَ مديحًا كبيرًا، وهو **ستة أيّام من الحرب**، أنّ احتلال إسرائيل لسيناء ومرتفعات الجولان والضفّة الغربيّة وغزّة «قد جاء عن طريق المصادفة إلى حدٍّ كبير،» أيْ بفضل «نزوات الحرب وقوّةِ دفعها.» ولكنْ في ضوء حاجات الحركة الصهيونيّة القديمة إلى التوسّع، يلاحظ ستيرنهل، على نحوٍ أكثرَ اتّزانًا، «أنّ دورَ المحتلّ، الذي شَرعتْ إسرائيلُ بتأديته بعد شهورٍ قليلةٍ فقط من نَصْرِها الخاطف في حزيران (يونيو) ١٩٦٧، لم يكن نتيجةً لخطإٍ في الحساب ارتكبه حكّامُ تلك المرحلة، ولا حصيلةً لمزيجٍ من الأوضاع، وإنّما كان خطوةً أخرى على طريق تحقيق المطامح الأساسيّة للصهيونيّة.»[٢٣]

بعد احتلال الضفّة الغربيّة وغزّة واجهتْ إسرائيلُ المعضلةَ عينَها التي واجهتْها عند بداية الحركة الصهيونيّة: فقد أرادت الأرضَ، لا الناسَ.[٢٤] ولكنّ الطرد لم يعد خيارًا ممكنًا؛ ذلك لأنّ الرأيَ العامَّ العالميّ توقّف عن إضفاء أيّ شرعيّة على عمليّات الترحيل السكانيّ القسريّ، في أعقاب التجارب والخطط النازيّة الوحشيّة في الهندسة الديموغرافيّة. واتفاقيّةُ جنيف الرابعة الحاسمة، التي أُقرّتْ عامَ ١٩٤٩، مَنعتْ بشكلٍ واضحٍ عمليّاتِ الترحيل من الأراضي الواقعة تحت الاحتلال (المادة ٤٩). وتبعًا لذلك، قامت إسرائيلُ بعد حرب حزيران بفرض خيارها الثاني المذكورِ أعلاه ـ وهو الأپارتايد [الفصل العنصريّ]. وقد ثَبَتَ أنّ هذا الخَيار هو حَجَرُ العثرة الأساسيُّ أمام تسوية ديبلوماسيّة للصراع الإسرائيليّ ـ الفلسطينيّ.

«عمليّة السلام»

بُعَيْد حرب حزيران ١٩٦٧ تداولت الأممُ المتحدةُ أشكالَ تحقيق سلامٍ عادلٍ ودائم. وكان الإجماعُ الواسعُ في الجمعيّة العامّة وفي مجلس الأمن أيضًا يدعو إلى انسحاب إسرائيل من الأراضي العربيّة التي احتلّتْها أثناء تلك الحرب. وقد وَضَعَ قرارُ مجلس الأمن رقم ٢٤٢ هذا المبدأَ الأساسيَّ من مبادئ القانون الدوليّ في مقطعٍ تمهيديٍّ «**تأكيدًا** على عدم السماح باحتلال الأرض بالقوّة.» (التشديد في الأصل)[٢٥] ومن جهة ثانية دعا القرارُ ٢٤٢ الدولَ العربيّةَ إلى الاعتراف بحقّ إسرائيل «في العيش بسلام وضمن حدودٍ آمنةٍ ومعترفٍ بها، بعيدًا عن التهديدات وأعمال القوّة.» وأخذًا للآمال الوطنيّة الفلسطينيّة في الحسبان، توصّلَ الإجماعُ الدوليُّ إلى ضرورة قيام دولةٍ فلسطينيّةٍ في الضفّة الغربيّة وغزّة ما إنْ تنسحب إسرائيلُ إلى الحدود التي كانت ضِمْنَها قبل حرب حزيران (لم يُشِرْ قرار ٢٤٢ إلاّ بشكلٍ غيرِ مباشر إلى الفلسطينيّين، وذلك حين دعا إلى «تحقيقِ حلٍّ عادلٍ لمشكلة اللاجئين.»)

رغم أنّ وزير الدفاع الإسرائيليّ موشيه دايان أَقرّ في جلسات خاصّة بأنّ قرار ٢٤٢ ينصّ على الانسحاب الكامل من الأراضي المحتلة عام ٦٧، فقد أصرّت إسرائيل رسميّاً على أنّ هذا القرار لا يتحدّث إلاّ عن «تعديل في الأراضي.»[٢٦] وأدّى رفضُ إسرائيل الانسحابَ الكاملَ من سيناء في شباط (فبراير) ١٩٧١، مقابلَ عَرْض مصر معاهدةَ سلامٍ عليها، إلى حرب تشرين (أكتوبر) ١٩٧٣.[٢٧] وكانت العناصرُ الأساسيّة للسياسة الإسرائيليّة حيال الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة قد حُدِّدتْ في نهاية الستينيّات عبر اقتراح إيغال آلون، وهو وزيرٌ ومسؤولٌ كبير في حزب العمل. فقد دعت «خطّةُ آلون» إلى ضمّ إسرائيل ما يَقْرب من نصف الضفّة الغربيّة، في حين يُحصَر الفلسطينيُّون في النصف الآخر ضمن كانتونينْ غيرِ مرتبطيْن: واحدٍ في الشمال، والآخرِ في الجنوب. في هذا الصدد يُدلي ساسون سوفر بملاحظة عامّة عن «الثنائيّة الخصبة» للديبلوماسيّة الإسرائيليّة ـ والأَحْرى أن يسمّيَها المرءُ «الكَلْبيّة

---

٢١ ـ I&R, pp. 10-11, 15, 102-3. Teveth, Ben-Gurion, p. 101 (cf. pp. 129, 187-90).

ولأدلة وافرة على أنّ القيادة الصهيونيّة لم تنوِ قطّ احترامَ حدود قرار التقسيم لعام ١٩٤٧، حتى في غياب الاعتداءات العربيّة، أُنظرْ: Ben-Eliezer, Making pp. 144, 150-1.

٢٢ ـ عن حرب حزيران، انظرْ: I&R, chap. 5.

٢٣ ـ I&R, p. 143. Martin Gilbert, Israel: A History (New York: 1998), p. 393. Michael Oren, Six Days of War (Oxford: 2002), p. 312. Sternhell, Founding, p. 330.

٢٤ ـ نبَّه يوسف ڤايتز، وهو مسؤول صهيونيّ كبير أثناء عملية طرد الفلسطينيِّين عام ١٩٤٨، إلى ضرورة حفاظ إسرائيل بعد انتصار حزيران على طبيعتها اليهوديّة وذلك «بحصر الأقليّة غير اليهوديّة بنسبة ١٥٪ فقط.» (Nur Masalha, A Land Without A People (London: 1997), p. 79).

٢٥ ـ I&R, pp. 144-7.

٢٦ ـ I&R, pp. 221-2, note 63.

٢٧ ـ I&R, chap. 6.

الخَصْبَة» ـ وهي تتمثّل في إشارة هذه الديبلوماسيّة «إلى فرادة المسألة اليهوديّة من أجل نيل الشرعيّة، ثم التشديدِ على طبيعيّة وجود إسرائيل السياديّ بوصفها دولةً يجب أن تُقدَّمَ لها كلُّ الحقوق والامتيازات الدوليّة التي تقدَّم لأيّ كيانٍ قوميّ.» وهكذا طالبتْ إسرائيل، شأنها شأن كلّ الدول ذاتِ السيادة، باعتراف كاملٍ بها، ولكنّها طالبتْ أيضًا ـ باسم المعاناة اليهوديّة «الفريدة» ورغم أنف القانون الدوليّ ـ بالحقّ في التوسّع الأرضيّ. وكما بيّنّا في مكانٍ آخر، لعب استحضارُ الهولوكوست النازيّة دورًا حاسمًا في اللعبة الديبلوماسيّة تلك.[٢٨]

في أول الأمر دَعمت الولاياتُ المتحدةُ التأويلَ المُجْمعَ عليه لقرار ٢٤٢، سامحةً بتعديلاتٍ «طفيفة» و«متبادلة» فقط على الحدود غير المنتظمة بين إسرائيل من جهة والضفّة الغربيّة الواقعة تحت سيطرة الأردن من جهة ثانية.[٢٩] وأكّد المسؤولون الأميركيّون بحزم، في الحوارات الخاصّة الساخنة مع إسرائيل أثناء الجهود التوفيقيّة التي قام بها غونار جارينغ عام ١٩٦٨ برعاية الأمم المتحدة،[٣٠] أنّ «كلمات' معترف بها وآمنة' عَنَتْ' ترتيبات أمنيّة' وَ اعترافًا' بخطوطٍ جديدة تكون حدودًا دوليّة،» و«لم تَعْنِ أبدًا أنّ بإمكان إسرائيل أن توسّع أراضيَها إلى الضفّة الغربيّة أو السويس إنْ كان ذلك هو ما شَعَرتْ أنّ أمنَها يتطلّبه.» كما أكّدوا «أنّه لن يكون هناك سلامٌ قطّ إذا حاولتْ إسرائيلُ أن تَحْتفظ بمساحات كبيرة من الأراضي [المحتلّة].» وإذ أشارت الولاياتُ المتحدةُ بالاسم إلى خطّة آلون فقد عَدّت النسخةَ الأقلَّ تطرُّفًا من هذه الخطة «غيرَ مُفيدةٍ» و«غيرَ مقبولةٍ من حيث المبدأ.»[٣١]

غير أنّ السياسة الأميركيّة، وفي نقلةٍ حاسمة بدأتْ زمنَ إدارة نيكسون ـ كيسنجر، أعادت الاصطفافَ وراء إسرائيل.[٣٢] وخلال الرُّبع الأخير من القرن الماضي دَعَمَ المجتمعُ الدوليُّ بثبات، باستثناء إسرائيل والولايات المتحدة (بالإضافة أحيانًا إلى دولةٍ تابعةٍ للولايات المتحدة)، التسويةَ القائمةَ على «دولتيْن،» أيْ على صيغةٍ تقول بالانسحاب الإسرائيليّ الكامل مقابل الاعتراف العربيّ الكامل وبناءِ دولةٍ فلسطينيّةٍ إلى جانب إسرائيل، ومارست الولاياتُ المتحدة الڤيتو الأوحدَ ضدّ قراريْ مجلس الأمن في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٦ ونيسان (أبريل) ١٩٨٠ ـ وهما قراران يشدِّدان على التسوية وفق مبدإِ الدولتيْن، وصادقتْ عليهما منظمةُ التحرير الفلسطينيّة (م.ت.ف) والدولُ العربيّة المجاورة. وفي كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٩ أُقرّ قرارٌ للجمعيّة العامّة للأمم المتحدة وفقًا للخطوط نفسِها، وبأغلبيّة ١٥١ صوتًا مقابل ٣ أصوات (لا ممتنعين عن التصويت)؛ وكانت الأصواتُ الثلاثةُ هي أصوات إسرائيل والولايات المتحدة والدومينيكان.[٣٣] ولهذا ليس مستغربًا، بالنظر إلى هذا السجلّ من الازدراء الإسرائيليّ بالرأي العالميّ، أن تضع إسرائيلُ شرطًا مسبَّقًا حاسمًا قبل التفاوض وهو «أن يُسْقِطَ الفلسطينيّون مطالبتَهم القديمة» بـ «التحكيم الدوليّ» أو «بآليّة مجلس الأمن.»[٣٤] لقد كان العائقُ الأساسيُّ أمام ضمّ إسرائيل للأراضي الفلسطينيّة المحتلّة هو م.ت.ف. فبعد أن وافقت المنظمةُ في أواسط السبعينيّات على التسوية القائمة على دولتيْن لم يعد يُمكن وَصْفُها بأنّها لا تَعْدو أن تكون منظّمةً إرهابيّةً عازمةً على تدمير إسرائيل. وتصاعدت الضغوطُ على إسرائيل للوصول إلى توافق مع «التوجّه الوفاقيّ» لمنظمة التحرير. وتلا ذلك اجتياحُ إسرائيل في حزيران ١٩٨٢ للبنان، حيث كان مركزُ قيادة القادة الفلسطينيّين، من أجل منعِ ما وَصَفه المحلِّلُ الإستراتيجيُّ الإسرائيليُّ آفْنِرْ يانيف بـ «هجَوم السلام!»[٣٥]

أصيب فلسطينيّو الضفّة وغزّة بالإحباط الشديد جرّاءَ الانسداد الديبلوماسيّ الناجم عن العرقلة الأميركيّة ـ الإسرائيليّة، فهبّوا في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٧ في تمرّد مدنيّ لاعنفيّ ضدّ الاحتلال هو «الانتفاضة.» لكنّ القمع الإسرائيليّ الوحشيّ، مضافًا إليه قيادةُ م.ت.ف. العاجزة والفاسدة، أدّيا في النهاية إلى هزيمة الانتفاضة.[٣٦] ومع الانفجار الداخليّ للاتحاد السوڤياتي، وتدميرِ العراق، وتوقُّفِ الدعم الماليّ القادم من دول الخليج، عانى الفلسطينيّون انحدارًا إضافيّاً في مصايرهم، فقَبَضت الولاياتُ المتحدة وإسرائيلُ على هذه اللحظة السانحة

---

٢٨ ـ Geoffrey Aronson, Creating Facts (Washington: 1987), pp. 14ff. (لخطّة آلون). Sofer, Zionism, p. 385. Finkelstein, Holocaust, pp. 47-8.

٢٩ ـ I&R, pp. 147-8.

٣٠ ـ لبعثة جارينغ، انظرْ: I&R, pp. 151ff.

٣١ ـ Foreign Relations of the United States, 1964 - 1968, Volume XX (Washington, DC: 200), pp. 619, 634 - 5, 641, 654.

٣٢ ـ Noam Chomsky, The Fateful Triangle (Boston: 1983), pp. 65-6.

عن الدواعي الاستراتيجيّة وراء تغيّر سياسة أميركا هذا ومضاعفات هذا التغيّر على اليهود الأميركيّين، انظرْ: Finkelstein, Holocaust, chap. 1

٣٣ ـ لسجلّ شامل عن الڤيتوات التي مارستها أميركا في مجلس الأمن، انظرْ: Finkelstein, R & F, pp. 53-7

٣٤ ـ Uri Savir, The Process (New York: 1998), p. 6.

٣٥ ـ Avner Yaniv, Dilemmas of Security (Oxford: 1987), pp. 20 (عن «التوافق»), 70 (عن «هجوم السلام»). R & F, pp. 44-5.

٣٦ ـ R & F, chap. 3.

واليائسةِ من أجل توظيف القيادة الفلسطينيّة، القابلةِ لأن تُرتشى أصلاً بعد وقوعها «على شفير الإفلاس» و«في موقع مستضعف» (بحسب كلمات يوري ساڤير، كبير المفاوضين الإسرائيليّين في أوسلو)، لتكون نائبةً عن القوة الإسرائيليّة. وكان هذا هو المعنى الحقيقيّ لاتفاقيّة أوسلو الموقّعة في أيلول (سبتمبر) ١٩٩٣: خَلْقُ بانتوستان فلسطينيّ، وذلك بأن يُدلَّى أمام عرفات وم.ت.ف «بقشيشُ» السلطةِ والامتيازاتِ، وهو ما يُشْبِه إلى حدٍّ كبيرٍ كيفيّةَ سيطرة البريطانيّين على فلسطين أثناء سنوات الانتداب عبر مفتي القدس، الحاج أمين الحسيني وعبر المجلس الإسلاميّ الأعلى.(٣٧) «لقد استمرّ الاحتلال» بعد أوسلو، على نحوِ ما كتب مراقبٌ إسرائيليٌّ محنّك هو ميرون بنفنيستي، «وإنْ عَبْرَ جهاز تحكُّم عن بُعْد (ريموت كونترول)، وبموافقة الشعب الفلسطينيّ ممثَّلاً بـ'ممثّله الوحيد' منظمة التحرير الفلسطينيّة.» ويكتب أيضًا: «لا داعيَ للقول إنّ 'التعاونَ' المستند إلى علاقات القوة الراهنة ليس أكثرَ من سيطرةٍ إسرائيليّةٍ دائمةٍ مقنَّعةٍ، وإنّ الحكم الذاتيّ الفلسطينيّ إنّما هو تعبيرٌ ملطَّفٌ عن البَنْتَسَة Bantustanization.» وبحسب ساڤير فإنّ «الامتحان» أمام عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينيّة هو ما إذا كانا «سيَستخدمان قاعدةَ قوتهما الجديدةِ لتفكيك حماس وغيرِها من المجموعات المعارضة العنيفة» التي تتحدّى الأپارتايد الإسرائيليّ.(٣٨)

تؤكّد سياسةُ الاستيطان الإسرائيليّ في الأراضي المحتلّة خلال العقد الأخير المضمونَ الحقيقيَّ لـ«عمليّة السلام» التي بدأتْ في أوسلو. والتفاصيل واضحةٌ في دراسة شاملة قام بها مركزُ بتساليم (المركز الإسرائيليّ للمعلومات عن حقوق الإنسان في الأراضي المحتلّة) وعنوانُها **انتزاع الأرض**.(٣٩) فقد ازداد عددُ المستوطنين اليهود، الناجم أساسًا عن المعونات الماليّة الهائلة القادمة من الحكومة الإسرائيليّة، من ٢٥٠ ألفًا إلى ٣٨٠ ألفًا أثناء سنوات أوسلو [١٩٩٣ ـ ٢٠٠٠]، وبنشاطٍ استيطانيّ متزايدٍ فاق أثناء ولاية يهود براك من حزب العمل ما كان عليه أثناء حُكْم بنيامين ناتانياهو من الليكود. وهذه المستوطناتُ اليوم، وهي مستوطنات غيرُ شرعيّة وفقًا للقانون الدوليّ ومبنيّةٌ على أراضٍ انتُزِعتْ بشكل غيرِ شرعيّ من الفلسطينيّين، تَسْتحوذ على حوالى نصف مساحة أراضي الضفّة الغربيّة. وهي عمليّاً قد ضُمَّتْ إلى إسرائيل (فالقانون الإسرائيليّ يتّسع ليشملَ لا اليهودَ الإسرائيليّين وحدهم بل يَشْمل أيضًا اليهود الذين يحملون جنسيّات أخرى ويعيشون في المستوطنات) ويُمْنَع على الفلسطينيّين دخولُها إلاّ بإذنٍ خاصّ. وقد عَوَّقتْ هذه المستوطناتُ سبيلَ أيِّ تنمية فلسطينيّة حقيقيّة لأنّها قَسَّمت الضفّةَ الغربيّةَ إلى معازل مسيّجة منفصلةٍ بعضها عن بعض وغيرِ قابلةٍ للحياة. فالأراضي الوحيدة المتوفّرة للبناء في بعض أجزاء الضفّة والقدس الشرقيّة تقع في مناطق تَخْضع للولاية القضائيّة الإسرائيليّة، كما أنّ المياه التي يَسْتهلكها ٥٠٠٠ مستوطن يهوديّ في وادي الأردن تُعادِلُ ٧٥٪ من المياه التي يَسْتهلكها كلُّ الفلسطينيّين المليونيْن الذين يعيشون في الضفّة الغربيّة. ولم يتمّ تفكيكُ أيّ مستوطنةٍ يهوديّةٍ أثناء سنوات أوسلو، كما زادت الوحداتُ السكنيّة في المستوطنات بنسبة تفوق ٥٠٪ (ولا يتضمّن ذلك ما بُنِي في القدس الشرقيّة)؛ ومن جديدٍ، فإنّ الطَّفْرة الكبرى في الوحدات السكنيّة الجديدة لم تَحْدث أثناء ولاية ناتانياهو بل أثناء ولاية براك، أيْ في العام ٢٠٠٠، تمامًا في الوقت الذي يدّعي فيه براك أنّه لم «يَدَعْ حجرًا إلاّ وَقَلَبَه» بحثًا عن السلام!

تَسْتنتج الدراسةُ التي أعدّها مركزُ بتساليم أنّ «إسرائيل قد خَلَقَتْ في الأراضي المحتلّة نظامًا من الفصل القائم على التمييز، مطبِّقةً نسقيْن مختلفيْن من القانون في المنطقة الواحدة، ومُرْجِعةً حقوقَ الأفراد إلى هويّتهم القوميّة. هذا النظام هو الوحيدُ من نوعه في العالم، ويُذكِّر بالأنظمة الكريهة في الماضي كنظام الأپارتايد في جنوبيّ أفريقيا.» وفي اللحظة التي كان مركزُ بتساليم يُصْدر فيها تقريرَه في أيار (مايو) ٢٠٠٢، بَنَتْ إسرائيل ٤٠ مستوطنةً جديدةً شَجَبَتْها مفوّضيّةُ الأمم المتحدة لحقوق الإنسان لكونها «مثيرةً [للقلاقل] واستفزازيّةً.»(٤٠)

وفي الوقت الذي تتوسّع فيه المستوطناتُ اليهوديّةُ، تَزْرب إسرائيلُ فلسطينيّي الضفّة الغربيّة في ثمانية أجزاء من أرضهم، كلُّ جزءٍ منها محاطٌ بأسلاكٍ شائكة، ولا يُمْكن الانتقالُ أو التبادلُ التجاريُّ في ما بينها من دون إذنٍ (بل على الشاحنات أن تُحمِّل وأن تُفْرِغَ حمولتَها على الحدود «ظَهْرًا لظَهْر») ـ الأمر الذي يُمْعِن في تدمير اقتصادٍ كانت نسبةُ البطالة فيه قد بلغتْ أصلاً أكثرَ من ٧٠٪ في بعض المناطق،

٣٧ ـ Savir, Process, pp. 5, 25. Baruch Kimmerling and Joel S. Migdal, Palestinians: The Making of a People (Cambridge: 1994), pp. 86, 90-1, and Porath, Emergence, p. 202.

٣٨ ـ Meron Benvenisti, Intimate Enemies (New York: 1995), pp. 218, 232. Savir, Process, p. 147.
ولتحليل مفصّل لاتفاقيّة أوسلو، أُنظر: Norman G. Finkelstein, "Whither the 'Peace Process?'" in New Left Review (July/August 1996).
ولنظرة شاملة عن التطورات ما بعد أوسلو، أُنظر: Nicholas Guyatt, The Absence of Peace (London: 1998).

٣٩ ـ May 2002.

٤٠ ـ Daniel Williams, "Settlements Expanding Under Sharon," in Washington Post (31 May 2002). "UN expert says settlement, house demolitions are war crimes," in Haaretz (15 June 2002).

وحيث يعيش نصفُ السكّان تحت خطّ الفقر، أيْ بأقلّ من دولارَيْن في اليوم. «إنّ المروِّع حقّاً،» على نحوِ ما عَبَّر أحدُ كتّاب جريدة **هاآرتس** آسفًا، «هو الطريقةُ اللامباليةُ التي تلقَّتْ بها وسائلُ الإعلام هذه الأمورَ وتعاملتْ معها... أين الاحتجاجُ العلنيّ على هذه المحاولة لتقسيم الأراضي [المحتلّة] وفرضِ جوازاتِ مرورٍ داخليّة... وإذلالِ وإزعاجِ جمهورٍ بالكاد يستطيع أن يَكْسب عيشَه أو يعيشَ حياته أصلاً؟»[٤١]

بعد سبع سنوات من المفاوضات المتعثّرة، وبعد سلسلة متتابعة من الاتفاقات الجديدة المرحليّة التي أَفْلحتْ في سَلْب الفلسطينيِّين الفتاتَ القليلَ الذي رُمُوا به من مائدة السيّد في أوسلو،[٤٢] حلّت ساعةُ الحقيقة في كامپ دايڤيد في تموز (يوليو) ٢٠٠٠. فهناك أعطى الرئيس كلينتون، ورئيسُ الوزراء براك، عرفاتَ إنذارًا بوجوب القبول رسميّاً ببنتوستان فلسطينيّ أو تحمُّلِ المسؤوليّة الكاملة عن انهيار «عمليّة السلام.» لكنّ عرفات رَفَضَ أن يتزحزح عن الإجماع الدوليّ على حلّ الصراع. وبحسب روبرت مالي، وهو مفاوضٌ أميركيٌّ رئيسيٌّ في كامپ دايڤيد، واصل عرفات تمسُّكَه بـ «دولة فلسطينيّة على أساس حدود ٤ حزيران ١٩٦٧، تعيش إلى جانب إسرائيل،» وإنْ «قَبِلَ أيضًا مفهومَ الضمّ الإسرائيليّ لأراضٍ في الضفّة الغربيّة تتّسع لمستوطناتها، مصرّاً [في المقابل] على مقايضة الأرض بأرضٍ من' حجم مماثلٍ وقيمةٍ مماثلة' » ـ وهذه هي التعديلات الحدوديّة «الطفيفة» و«المتبادلة» في الموقف الأميركيّ الأصليّ من قرار ٢٤٢. وتستحقّ صياغةُ مالي للاقتراح الفلسطينيّ في كامپ دايڤيد ـ وهو عرضُ رُفِض بشكلٍ واسع ولكنّه نادرًا ما ذكرتْه وسائلُ الإعلام ـ أن يورَدَ بشكلٍ كامل: «دولة إسرائيليّة تَدْمج بعضَ الأراضي المنتزعة عامَ ٦٧، وتَشْمل غالبيّةً كبيرةً جدّاً من مستوطنيها، وأضخمَ قدسٍ يهوديّةٍ في تاريخ هذه المدينة، وصيانةَ التوازن الديموغرافيّ في إسرائيل بين اليهود والعرب؛ و[يكون] الأمنُ مضمونًا بفضل وجودٍ دوليٍّ تقوده الولاياتُ المتحدة.» على الطرف المقابل، وخلافًا للأسطورة التي لفّقها كلينتون وبراك وإعلامٌ مُطاوعٌ، «قَدَّمَ براك مظاهرَ [أو بهارج] السيادة الفلسطينيّة،» على نحوِ ما لاحظ مستشارٌ خاصٌّ في وزارة الخارجيّة البريطانيّة، «مع مواصلة إخضاع الفلسطينيِّين إلى الأبد.» ورغم أنّ التقارير حول عرض براك تختلف في ما بينها كثيرًا، فإنّ كل المراقبين الواسعي العِلْم يتّفقون على أنّه «كان سيعني أنّ الأرض التي ستضمّها إسرائيلُ إليها ستتوغّل عميقًا داخل الدولة الفلسطينيّة» (بحسب كلمات مالي)، وهو ما سيقسِّم الضفةَ الغربيّةَ إلى معازلَ متعدّدةٍ غيرِ مترابطةٍ، ويعطي الفلسطينيِّين أراضيَ لا تساوي ما سيحصل عليه الإسرائيليُّون حجمًا أو قيمةً.[٤٣]

تأمَّلْ في هذا الصدد ردَّ فعلِ إسرائيل على خطّة السلام السعوديّة الصادرة في آذار (مارس) ٢٠٠٢. فقد اقترح وليُّ العهد السعوديّ الأمير عبد اللّه، وَوافقه على ذلك جميعُ الأعضاء الواحد والعشرين المنضوين في جامعة الدول العربيّة، خطّةً تقدِّم تنازلاتٍ تتخطّى في حقيقة الأمر الإجماعَ الدوليَّ نفسَه. فمقابل انسحابٍ إسرائيليّ كامل لم تكتفِ هذه الخطّةُ باعتراف عربيّ كامل بإسرائيل بل اقترحتْ أيضًا القيامَ «بعلاقات طبيعيّة» معها، ولم تدعُ إلى «حقِّ عودةٍ» اللاجئين الفلسطينيِّين إلى ديارهم بل اكتفت بالدعوة إلى «حلّ عادل» لمشكلة اللاجئين.

لقد لاحظ أحدُ المعلِّقين في **هاآرتس** أنّ الخطّة السعوديّة كانت تُشْبه إلى حدٍّ مدهشٍ ما زَعَمَ براك أنّه اقترحه قبل عامَيْن في كامپ دايڤيد. فلو كانت إسرائيل ملتزمة حقّاً الانسحابَ الشاملَ في مقابل التطبيع مع العالم العربيّ، لكان على المبادرة السعوديّة (وعلى الموافقة الجماعيّة التي حظيتْ بها من قمّة الدول العربيّة) أن تُقابَلا بالابتهاج الكبير. لكنّ هذه المبادرة بعد مدّةٍ وجيزةٍ من التجنُّب والصمت ما لبثتْ أن أُودِعتْ في ثقب الذاكرة الأورويليّ.[٤٤] ومع ذلك فإنّ دَجَلَ براك (وكلينتون)

---

٤١ ـ Amira Hass, "Donors are funding cantonization," in Haaretz (22 May 2002). Brian Whitaker, "UN to feed 500,000 needy Palestinians," in Guardian (22 May 2002). Karen DeYoung, "Hezbollah Buildup in Lebanon Cited," in Washington Post (15 June 2002) (عن «نسبة البطالة»). Thomas O'Dwyer, "Nothing Personal: Parts and Apartheid," in Haaretz (24 May 2002) (عن الأمر «المروِّع»).

٤٢ ـ Norman G. Finkelstein, "Securing Occupation: The Meaning of the Wye River Memorandum," in New Left Review (November/December 1998), and esp. Mouin Rabbani, "A Smorgasbord of Failure," in Roane Carey (ed), The New Intifada (Verso: 2001), chap. 3.

٤٣ ـ Hussein Agha and Robert Malley, "Camp David: The Tragedy of Errors," "Camp David and After: An Exchange - A Reply to Ehud Barak," "Camp David and After - Continued: Robert Malley and Hussein Agha reply," in New York Review of Books (9 August 2001, 13 June 2002, 27 June 2002). David Clark, "The brilliant offer Israel never made," in Guardian (10 April l 2002) (كلام الديبلوماسيّ البريطانيّ).

٤٤ ـ لرؤية نصّ المبادرة السعودية انظرْ: Guardian (28 March 2002)
وللموقف من «حق العودة» انظرْ: Suzanne Goldenberg, "Arab leaders reach agreement by fudging refugee question," in Guardian, 29 March 2002. Aviv Lavie, "So what if the Arabs want to make peace?" in Haaretz (5 April 2002).
ولتعليق متبصّر انظرْ: Uri Avnery, "How to Torpedo the Saudis" (4 March 2002) at www.counterpunch.org/avnerysaudis.html.

الزاعمَ أنّ الفلسطينيّين رَفَضوا في كمب دايفيد عرضًا إسرائيليّاً بالغَ السخاء قد وَفَّرَ غطاءً «أخلاقيّاً» حاسمًا للفظائع الإسرائيليّة التي تلت.

التعلُّم من الهولوكوست النازيّة

في أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٠ هَبَّ الفلسطينيُّون في انتفاضة ثانية ضدّ الحُكْم الإسرائيليّ. وبحسب «التفكير الملتوي» للإسرائيليّين منذ أوسلو، على نحوِ ما كتبت الصحافيّة أميرة هاس من جريدة **هاآرتس** بعيْد المقاومة المتجدِّدة، «فإنّ الفلسطينيّين سيَقْبلون وضعًا من التعايش لا يكونون فيه على قدم المساواة مع الإسرائيليّين وفي مرتبة لا يحقّ لهم فيها أن ينالوا إلاّ أقلَّ ـ بل أقلّ بكثير ـ من اليهود. لكنّ الفلسطينيّين في النهاية لم يكونوا على استعدادٍ لقبول هذا الترتيب. والانتفاضة الجديدة... هي محاولةٌ أخيرة لدفع مرآةٍ إلى وجوه الإسرائيليّين والقولِ لهم: ' انظُروا جيّدًا إلى أنفسِكم وتطلّعوا إلى أيّ مدًى صِرْتم عنصريِّين! » وفي هذا الوقت، بعد أن فشلتْ إسرائيل في سياسة الجزرة التي بدأتْها في أوسلو، مَدَّت يدَها لالتقاط العصا الطويلة. غير أنّه كان لا بدّ من تحقيق شرطيْن مسبَّقَيْن قبل أن تمارسَ إسرائيلُ تفوُّقَها العسكريَّ الكاسح، وهما: «ضوءٌ أخضر» من الولايات المتحدة، وذريعةٌ كافية. وكان «فريقُ جاين للمعلومات،» وهو فريق موثوق، قد أَوْرد في صيف ٢٠٠١ أنّ إسرائيل أنجزت التخطيطَ لاجتياحٍ دمويٍّ وهائل للمناطق المحتلّة. غير أنّ الولايات المتحدة مارَست النقضَ ضدّ هذه الخطّة، وعَبّرتْ أوروبا بوضوحٍ هي أيضًا عن معارضتها لها. لكنْ بعد ١١ سبتمبر تولّت الولاياتُ المتحدة دفّةَ الأمور. فتطابَقَ بشكل أساسيّ هدفُ شارون في سحق الانتفاضة مع هدف الإدارة الأميركيّة في استغلال أحداث المركز التجاريّ العالميّ الشنيعة، من أجل محو آخِر بقايا المقاومة العربيّة للهيمنة الأميركيّة الشاملة. غير أنّ الفلسطينيّين أَثْبَتوا، عَبْر ممارسةِ قوّة الإرادة وحدها وبرغم القيادة الفاسدة فسادًا هائلاً، أنّهم أكثرُ قوة شعبيّة عربيّة تمرُّدًا وقدرةً على الصمود. وسيوجّه تركيعُهم ضربةً نفسيّةً مدمِّرةً على امتداد المنطقة.(٤٥)

مع إعطاء الولايات المتحدة الضوءَ الأخضرَ لم تعد إسرائيل تَحْتاج إلاّ إلى الذريعة. وكما هو متوقَّع فقد قامت بتصعيد عمليّات اغتيال القادة الفلسطينيّين عَقِبَ كلِّ تراجعٍ في العمليّات العسكريّة الفلسطينيّة. تلاحظ شولاميت ألوني من حزب ميريتس الإسرائيليّ «أنّ الفلسطينيّين واصلوا ضبطَ أنفسهم بعد تدمير البيوت في رفح والقدس. لكنّ شارون ووزيرَ حربه، خوفًا كما يبدو من أن يُضطرَّا إلى العودة إلى طاولة المفاوضات، قرّرَا أن يفعلا شيئًا، فقاما بتصفية رائد الكرمي. كانا يَعْلمان أنّه سيكون هناك ردٌّ، وأنّنا سنَدْفع الثمنَ من دماء المواطنين.»(٤٦) والحق أنّه كان واضحًا جدّاً أنّ إسرائيل سَعَتْ يائسةً إلى ذلك الردّ الدمويّ. فما إنْ تخطّت الهجماتُ الفلسطينيّةُ ضدّ المدنيّين الإسرائيليّين الحدَّ المطلوبَ حتى تمكّن شارون من أن يعلِنَ الحربَ وأن يواصلَ محقَ المدنيّين الفلسطينيّين الذين لا يَمْلكون بشكلٍ أساسيٍّ سُبُلَ الدفاع عن أنفسهم.

وحدَه المتعامي قَصْدًا هو مَنْ لا يلاحظ أنّ الاجتياح الإسرائيليّ للضفّة الغربيّة في آذار ـ نيسان، والمسمّى «عمليّة الدرع الواقية،» هو إلى حدٍّ كبيرٍ إعادةٌ للاجتياح الإسرائيليّ للبنان في حزيران (يونيو) ١٩٨٢. فلكي تَسْحق إسرائيلُ هدفَ الفلسطينيّين في بناء دولةٍ مستقلّةٍ الى جانب إسرائيل ـ وهو ما سُمِّي بـ «هجوم م.ت.ف. السلميّ» ـ وَضَعَتْ خططًا في أيلول (سبتمبر) ١٩٨١ لاجتياح لبنان. ولكنّها من أجل شنّ هذا الاجتياح احتاجتْ إلى ضوء أخضر من إدارة ريغان، وإلى ذريعة أيضًا. غير أنّه لسوء حظّها، وبرغم استفزازاتها المتعدّدة، لم تستطعْ أن تستدرجَ الفلسطينيّين إلى الهجوم على حدودها الشماليّة. ولذا صَعَّدتْ هجماتها الجويّةَ على جنوبيّ لبنان. وبعد هجوم إسرائيليّ إجراميّ مميّز خلَّف مئتيْ قتيلٍ من المدنيّين (مِنْ بينهم ستّون يَشْغلون أحدَ مستشفيات الأطفال الفلسطينيّة)، ردّت منظمةُ التحرير الفلسطينيّة مُوقِعةً قتيلاً واحدًا من الإسرائيليّين. بتوفّر الذريعة، وبالضوء الأخضر من إدارة ريغان قادمًا على الطريق، اجتاحت إسرائيلُ لبنان. فاستخدمت الشعارَ الذي تَسْتخدمه الآن، وهو «استئصال الإرهاب الفلسطينيّ،» وباشرتْ عمليّةَ ذبح شعبٍ لا سبيلَ لديه للدفاع عن نفسه، فقتلتْ حوالى ٢٠ ألفًا من الفلسطينيّين واللبنانيّين، بين حزيران وأيلول ١٩٨٢، وكلُّهم تقريبًا مدنيّون. وباستطاعة المرء أن يسجِّل، بالمقارنة، أنّ الرقمَ الإسرائيليّ الرسميّ حتى أيار ٢٠٠٢ لليهود «الذين وَهَبوا حياتَهم لإنشاء الدولة اليهوديّة ولأمنها» ـ أيْ عدد اليهود الإجماليّ الذين قَضَوْا أثناء القتال زمنَ الحرب (غالبًا) أو في هجمات إرهابيّة منذ فجر الحركة الصهيونيّة قبل ١٢٠ سنة إلى اليوم ـ قد بَلَغَ ٢١،١٨٢.(٤٧)

٤٥ ـ Amira Hass, "The mirror does not lie," in Haaretz (1 November 2000). Jane's Foreign Report (12 July 2001).

٤٦ ـ Shulamit Aloni, "You can continue with the liquidations," in Yediot Aharonot (18 January 2002); cf. Tanya Reinhart, "Evil Unleashed" (19 December 2001) at www.zmag.org.

٤٧ ـ لخلفيّة عن حرب لبنان، انظرْ: R & F, pp. 44-5 and sources cited. http://www.ou.org/yerushalayim/yomhazikaron/default.htm. (للأرقام الرسميّة الإسرائيليّة)

من أجل قمع المقاومة الفلسطينيّة حَثَّ مسؤولٌ إسرائيليٌّ رفيعٌ في أوائل عام ٢٠٠٢ الجيشَ الإسرائيليَّ على «تحليلِ الدروس واستدخالها حول الكيفيّة التي قاتل فيها الجيشُ الألمانيُّ في غيتو وارسو.» ويبدو أنّ الجيش الإسرائيليّ قد اتَّبَعَ نصيحةَ ذلك المسؤول، بالنظر إلى المذبحة الإسرائيليّة في الضفّة الغربيّة والتي بلغتْ أوجَها في عمليّة «الدرع الواقية»: من استهداف سيّارات الإسعاف الفلسطينيّة والطواقم الطبيّة، إلى استهدافِ الصحفيّين، وقتلِ الأطفال الفلسطينيّين «للتسلية» (على نحوِ ما ذَكَرَ كريس هَدْجِز، الرئيسُ السابقُ لمكتب **نيويورك تايمز** في القاهرة)، وتجميعِ الذُّكور الفلسطينيّين الذين تتراوح أعمارُهم بين ١٥ و٥٠ سنة وتقييدِ أيديهم وتكميم عيونهم ووضعِ أرقامٍ لهم على معاصمهم، وتعذيبِ المعتقلين الفلسطينيّين دونما تمييز، وحرمانِ المدنيّين الفلسطينيّين من الطعام والماء والكهرباءِ والمعوناتِ الطبيّة، وشنِّ الهجمات الجويّة العشوائيّة على الأحياء الفلسطينيّة، واستخدام المدنيّين الفلسطينيّين دروعًا بشريّة، وجرفِ المنازل الفلسطينيّة بسكّانها المتكوِّمين داخلها.(٤٨)

وقد وَجَد تحقيقٌ قامت به منظمةُ هيومان رايتس واتش عن العمليّات العسكريّة الإسرائيليّة في نيسان (أبريل) ٢٠٠٢ في مخيّم جنين للاجئين أنّ «القوات الإسرائيليّة ارتكبت انتهاكاتٍ خطيرةً للقانون الإنسانيّ، بعضُها كافٍ قانونيّاً لوصفها بجرائم الحرب.» فقد جُعِل حوالى ٤٠٠٠ فلسطينيّ، أيْ أكثر من رُبْع سكّان المخيّم، من دون منزل، وذلك في سياق «تدميرٍ تجاوَزَ بكثيرٍ أيَّ غرضٍ يُمْكن تصوُّرُه للوصول إلى المقاتلين [الفلسطينيّين]، وكان غيرَ متناسبٍ على الإطلاق مع الأهداف العسكريّة المتَّبعة.» وكان من الفظائع الإسرائيليّة النموذجيّة التي وَثَّقَتْها هذه المنظّمةُ في جنين ما يلي: «رجلٌ مشلولٌ في السابعة والثلاثين قُتل حين جَرَفَتْ قواتُ الدفاع الإسرائيليّة البيتَ على رأسه، رافضةً أن تعطي أقرباءه الوقتَ لسحبه من البيت»؛ «رجلٌ مُقْعدٌ على كرسيّ متنقِّل في السابعة والخمسين... أُطْلقتْ عليه النّارُ ودَهَسَتْهُ دبابةٌ على طريق رئيسيّة خارج المخيّم... مع أنّه كان معه علمٌ أبيضُ مُثبتٌ إلى مقعده المتحرِّك»؛ «جنودٌ من قوّات الدفاع الإسرائيليّة أَجْبروا امرأةً في الخامسة والستّين على الوقوف على أحد السطوح أمام مركزٍ لجيش الدفاع أثناء معركةٍ بالهيليكوبتر.» ولاحَظَ باحثٌ رفيعُ المستوى في منظمة هيومان رايتس واتش أيضًا أنّ ما جرى في جنين «لم يكن مختلفًا كثيرًا عن أيٍّ من الهجمات» التي حدثتْ في عمليّة الدرع الواقية، بملحظ أنّ نابلس ورام اللّه عانتا أسوأَ أنواع النَّهْب.(٤٩)

من المؤكّد أنّ إيهود براك لم يوافقْ على عمليّة الدرع الواقية: لقد كان على شارون، قال موبِّخًا، أن يتصرَّف «بطريقةٍ أكثرَ قوّةً!» في هذه الأثناء، عزا إيلي ڤيزل، المديرُ التنفيذيُّ لصناعة الهولوكوست، نَقْدَ الفظائع الإسرائيليّة إلى نزعة العداء للساميّة، مُقدِّمًا دعمًا غيرَ مشروط لإسرائيل: «إسرائيل لم تفعلْ سوى أنّها رَدَّتْ... وأيّاً كان ما فعلتْه إسرائيل فقد كان الشيءَ الوحيدَ الذي تمكَّنَتْ من فعله. لا أعتقد أنّ إسرائيل تَنْتهك وثيقةَ حقوق الإنسان... إنّ للحرب قوانينَها الخاصّة.» ومضى ڤيزل ليشدِّد على «الألم والكَرَب العظيمَيْن» اللذَيْن عاناهما الجنودُ الإسرائيليُّون حين فَعَلوا ما «عليهم أن يفعلوه.» أحدُ جنود ڤيزل «المعذَّبين،» وكان يَعْمل على جرّافة في مخيّم جنين، وتبجَّح بأنّه «ترك لهم [للفلسطينيّين] ملعبَ كرة قدم،» روى لاحقًا في إحدى المقابلات: «لقد أردتُ أن أدمِّر كلَّ شيء. توسّلتُ إلى الضبّاط... لكيْ يَدَعُوني أدمِّر كلَّ شيء، من الأعلى إلى الأسفل؛ لكي أسوّيَ كلَّ شيء بالأرض... طوال ثلاثة أيام، كلُّ ما فعلتُه هو أن أدمِّرَ وأدمِّرَ... كنتُ أشعر بالغبطة كلّما تهدَّم منزلٌ لأنّني كنتُ أعلم أنّهم [الفلسطينيّين] لا يَكْترثون للموت ولكنّهم يكترثون لبيوتهم. إذا دَمَّرتُ منزلاً دَفَنتَ ٤٠ أو ٥٠ شخصًا لأجيال. إذا كنتُ آسف لأيّ شيء فهو أنّني لم أَقْتلع المخيَّم بأسره... لقد شعرتُ بالكثير من الرضى. ولقد استمتعتُ بذلك حقّاً.» وتُورد **هاآرتس** أنّ الجنود الإسرائيليّين الذين يحتلّون رام اللّه «دمَّروا رسومَ الأطفال» في وزارة الثقافة الفلسطينيّة، و«بَوَّلوا وتَغَوّطوا في كلّ مكان» في المبنى، بل «وصَلَ بهم الأمرُ إلى التغوّط في آلةٍ ناسخة» photocopier. ولا شكّ أنّهم فعلوا ذلك بـ «ألمٍ وكَرَبٍ عظيمَيْن!»(٥٠)

---

٤٨ ـ Amir Oren, "At the gates of Yassergrad," in Haaretz (25 January 2002), and Uzi Benziman, "Immoral Imperative," in Haaretz (1 February 2002) (لكلام المسؤول الإسرائيليّ). Chris Hedges, "A Gaza Diary," in Harpers (October 2001).

٤٩ ـ Human Rights Watch, "Jenin: IDF Military Operations" (May 2002). Suzanne Goldenberg, "Across West Bank, daily tragedies go unseen," in Guardian (27 April 2002) (لجملة «لم يكن مختلفًا كثيرًا...»). Edward Cody, "Unnoticed Nablus May Have Taken West Bank's Worst Hit" in Washington Post (21 May 2002).
وكان مصيرُ نابلس هو الأسوأ، إذ قُتل ٧٥ فلسطينيّاً، بينهم ٥٠ مدنيّاً، مقابلَ جنديّ إسرائيليّ واحد.

٥٠ ـ "Camp David and After: An Exchange - An Interview with Ehud Barak," in New York Review of Books (13 June 2002) (لكلام براك). For Wiesel, see Megan Goldin, Reuters (11 April 2002), Greer Fay Cushman, "Wiesel: World doesn't understand threat of suicide bombers," in Jerusalem Post (12 April 2002), CNN (14 April 2002), Caroline B. Glick, "We must not let the hater define us," in Jerusalem Post (19 April 2002), Elie Wiesel interview with Gabe Pressman on "News Forum" (21 April 2002). Tsadok Yeheskeli, "I made them a stadium in the middle of the camp," in Yediot Aharanot (31 May 2002). Amira Hass, "Someone even managed to defecate into the photocopier," in Haaretz (6 May 2002).

العودة إلى الطّرد

استندتْ عمليّةُ أوسلو إلى فرضيّةِ إيجاد قيادةٍ فلسطينيّةٍ موثوقةٍ لتقنيع سياسة الأپارتايد الإسرائيليّة، أيْ أنّها استندتْ إلى فرضيّة إيجاد نلسون مانديلا يؤدّي دور الزعيم بوتولايزي!(٥١) ولكنّ كامپ دايڤيد في تموز ٢٠٠٠ أشّرت على هزيمة هذه الاستراتيجيّة: فعرفات رَفَض ـ أوْ لم يستطع بسبب المقاومة الشعبيّة ـ أداءَ الدور المحدّد له. وبغياب هذا المظْهر الفلسطينيّ المشرعِن الكاذب، انفضحتْ حقيقةُ الأپارتايد الإسرائيليّ وبات عُرضةً للنقد الصاعق الذي سَبَقَ أن تعرّض له سلفُهُ الجنوبأفريقيّ. «لو كان الفلسطينيّون سودًا لكانت إسرائيلُ دولةً منبوذةً وعُرضةً للعقوبات الاقتصاديّة بقيادة الولايات المتحدة،» هذا ما كتبته **الأوبزرڤر** البريطانيّة في افتتاحيّتها بعد اندلاع الانتفاضة الجديدة. وأكملتْ تقول: «إنّ كيفيّة تطوير إسرائيل للضفّة الغربيّة وتعاملها معها كانا سيُعتبران نظامًا أپارتايديّاً، حيث يُسمح للسكّان الأصليّين بالعيش في جزء ضئيل من بلادهم، في 'بانتوستانات' تُقرّ بأنّها كذلك، وحيث 'البيض' يَحْتكرون مصادرَ المياه والكهرباء. ومثلما كان يُسمح للسود بالدخول إلى مناطق البيض في جنوب أفريقيا ولكنْ ضمن أحياءٍ لا تتوفّر فيها المواردُ البشريّةُ إلى حدّ معيب، فإنّ على معاملة إسرائيل للعرب الإسرائيليّين [فلسطينيّي ٤٨] ـ حيث تمارس تمييزًا صارخًا ضدّهم في السكَن والتّعليم ـ أن تُعتبر مُخْزيةً هي الأُخرى.» ومنذ ذلك الوقت والشخصيّاتُ على امتداد الطيف السياسيّ السائد، من مستشار الرئيس كارتر للأمن القوميّ زبيغنيو بريزنْسكي إلى رئيس الأساقفة الأنجليكانيّة في جنوب أفريقيا والحائز على جائزة نوبل دَزْموند تُوتُو، تُصْدر بياناتٍ شاجبةً مماثلة. «لقد شَعرتُ بالحزن العميق جداً في زيارتي إلى الأراضي المقدّسة،» أعْلن تُوتُو، «لأنّه ذكّرني كثيرًا جداً بما حَصَل لنا نحن السودَ في جنوب أفريقيا. لقد رأيتُ كيف يُذَلُّ الفلسطينيّون على الحواجز والعوائق، فيعانون مثلَ ما عانينا حين كان شبّانُ الشرطة البيضُ يمنعوننا من التنقّل.»(٥٢)

لكنْ، يا للمفارقة! ففي حين أنّ الأپارتايد لم يَعُدْ خيارًا إسرائيلياً يُمْكن الدفاعُ عنه، فإنّ طرد الفلسطينيّين من جديد قد يُعدّ عكسَ ذلك. فلقد تبنّت إسرائيلُ في الماضي الإستراتيجيّةَ الأپارتايديّةَ بعد أن مَنَعَتْ سوابقُ جديدةٌ في القانون الدوليّ والرأي العامّ عمليّاتِ الطّرد العرقيّ. غير أنّه في الآونة الأخيرة حَدَثَ تراخٍ دراماتيكيٌّ في مثل هذه الكوابح القانونيّة والأخلاقيّة. فالولايات المتحدة، ولاسيّما بعد ١١ أيلول، توقّفتْ عن احترام القانون الدوليّ وإنْ شفويّاً، وأَعلنتْ عمليّاً أنّه باطلٌ ولاغٍ. وخلافًا لتدميرها للعراق عامَ ١٩٩١، فإنّ هجومَها على أفغانستان تمّ من دون موافقة مباشرة من الأمم المتّحدة ـ لا لأنّها لم تستطع أن تَحْصل على موافقةٍ كهذه بل لأنّها أرادت أن تؤكّد [للعالم] أنّها لا تَحْتاج إلى أيّ موافقة. كما أنّ الولايات المتحدة، اليوم، خلافًا لاستخدامها في السابق عمليّاتٍ سريّةً وواجهاتٍ كاذبةً تشرعِن سياستَها، مثلَ مجموعة الكونترا في نيكاراغوا، من أجل قلب حكوماتٍ أجنبيّة تُغيظها، تتحدث اليومَ بصفاقة عن «تغيير الأنظمة.» ومع إعلان إدارة بوش عقيدةَ «الضربات الوقائيّة» تكون قد وَجّهتْ «ضربةً قاضيةً» إلى المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة التي تَمْنع الهجومَ المسلَّح إلاّ عند مواجهة خطرٍ وشيك.(٥٣)

وبالمثل، ستكون إسرائيلُ الآن، بدعم أميركيّ حاسم، قادرةً على أن تَهْزأ تمامًا بالمواثيق الدوليّة ـ وهو ما تُثْبته معاملتُها المزدريةُ والمهينةُ للجنة الأمم المتحدة لتقصّي الحقائق حول ما جرى في جنين، وتمزيقُها اتفاقيّةَ أوسلو إرَبًا إرَبًا بإعادة احتلالها للأراضي الخاضعة للسلطة الفلسطينيّة في الضفّة الغربيّة. إنّ صُنّاع القرار الإسرائيليّين المؤثّرين، بل عميد «المؤرّخين الجدد» في إسرائيل، بَني موريس نفسه،(٥٤) يفكّرون علنًا في طرد الفلسطينيّين. فموريس الذي وافق بوضوح في حال وقوع الحرب على طرد الفلسطينيّين ـ الذين يعتبرهم «شعبًا مريضًا مصابًا بالذُّهان» ـ مَضَى ليعلنَ متبجّحًا: «أنّ هذه الأرض مِنَ الصِّغر حتى لا مكان فيها لشعبَيْن. خلال خمسين عامًا أو مئة عام ستكون هناك دولةٌ واحدةٌ فقط بين البحر والأردن. وهذه الدولة يجب أن تكون إسرائيل.» وبحسب استفتاءٍ أجراه مؤخّرًا في إسرائيل مركزُ جافي للدراسات الإستراتيجيّة، فإنّ نصفَ الإسرائيليّين تقريبًا يؤيّدون طردَ فلسطينيّي الضفّة الغربيّة وغزة، وحوالى ثلث الإسرائيليّين يؤيّدون طردَ فلسطينيّي ٤٨ من

---

٥١ ـ Finkelstein, "Whither the 'Peace Process'?", p. 148.

٥٢ ـ "Israel must end the hatred now," in Observer (15 October 2000). Haroon Siddiqui, "Tutu likens Israeli actions to apartheid," in Toronto Star (16 May 2002) (لكلام بريزنسكي). Desmond Tutu, "Apartheid in the Holy Land," in Guardian (29 April 2002).

٥٣ ـ Jonathan Steele, "The Bush doctrine makes nonsense of the UN charter," in Guardian (6 June 2002).
وقد أَظْهرت الولاياتُ المتحدة قساوةً مماثلة على الجبهة الاقتصاديّة. فقد لاحظ پول كروغمان من **نيويورك تايمز** مثلاً أنّ التعريفات التي فرضتها إدارةُ بوش على الفولاذ «تُظهر ازدراءً غيرَ مسبوق بالقوانين الدوليّة.» ("America the Scofflaw" (24 May 2002))

٥٤ ـ عن «المؤرخين الجدد» انظرْ: I&R, chap. 3.

إسرائيل (٥/٣ يؤيِّدون «تشجيعَ» الفلسطينيِّين داخل مناطق ٤٨ على المغادرة).(٥٥)

هناك سببٌ آخر لكي نَشْعر بالخطر. فالحركة الصهيونيّة، على امتداد تاريخها، راهنتْ ضدّ الاحتمالات المثبِّطة. لقد كان النصرُ يبدو دائمًا بعيدَ المنال بالنسبة إليها. يكتب يائيل زيروباڤلْ: «إنّ دولة إسرائيل تَدين بوجودها للمبدإ الذي يُعْلي الالتزامَ الإيديولوجيَّ فوق الحسابات الواقعيّة.» لاحِظْ أنّه عند كلّ منعطفٍ حاسمٍ واجهتْه إسرائيلُ كانت ثمة «معجزةٌ» تُنْقذها ـ وهذه الكلمة «معجزة» تتكرّر على نحوٍ ثابتٍ في كُتُب التأريخ الصهيونيّة: «معجزةٌ» إعلان بلفور (بحسب بن غوريون)؛ «معجزةٌ» قرار التقسيم (بكلمات حاييم وايزمان)؛ «التسهيلُ المُعْجِز لمهمّات إسرائيل» في حرب ١٩٤٨ (بحسب وايزمان في إشارة إلى هروب المواطنين العرب)؛ «معجزةُ» حرب حزيران ١٩٦٧؛ «مُعجزة» قدوم اليهود السوڤيات إلى إسرائيل. ولكنّ قراءةً متفحِّصةً لسجلّ الوثائق تبيِّن أنّ تلك لم تكن معجزاتٍ حقّاً، بل كان الصهاينةُ في كلّ حالة يستغلّون إلى أقصى حدٍّ فرصةً تاريخيّةً ضئيلةً ـ وهذه هي «الأوقات الثوريّة» ـ لتفعيل قواهم البشريّة والماديّة. ولربّما أثْبتت الأيّامُ أنّ ١١ أيلول فرصةٌ تاريخيّة مماثلةٌ أخرى! فلقد مَنَحَ العالَمُ ـ أو أُجْبِر على أن يَمْنَحَ ـ الولاياتِ المتحدةَ فترةَ عفوٍ لتتصرَّفَ علنًا كدولةٍ خارجةٍ عن القانون. وهذا يَعْني بالنسبة إلى إسرائيل فرصةً لحلّ المسألة الفلسطينيّة مرةً واحدةً وإلى الأبد؛ وإنّ هذه «المعجزةُ» يُنتظر حدوثُها. وبغير الانسحاب الإسرائيليّ الكامل من الضفّة والقطاع لا خيارَ أمام إسرائيل إلاّ مواصلةُ تحمُّل الهجمات الإرهابيّة أو طردُ الفلسطينيّين. لكنْ يصعب على المرء أن يتخيّل أنّ إسرائيل ستتحمّل هذه الهجمات إلى ما لا نهاية. كما أنّ استمرارَ هذه الهجمات بلا هوادة قد يُلطِّف من الإدانة الدوليّة لطرد الفلسطينيّين.(٥٦)

إذا حاولتْ إسرائيل طردَ الفلسطينيِّين، فباستطاعتها ـ على الأرجح ـ الاعتمادُ على دعم قطاعات جبّارة داخل المجتمع الأميركيّ. فسوّاطُ الأغلبيّة في المجلس النيابيّ توم ديلاي،* وزعيمُ الأغلبيّة في هذا المجلس ديك آرمي، رَعَيا قرارًا يَدْعم مطالبةَ إسرائيل بكامل «يهودا والسّامرة،» وأكد آرمي بوضوح أنّ «على الفلسطينيّين الذين يعيشون اليومَ في الضفّة الغربيّة أن يَخْرجوا من هناك.» وترنَّم عضوُ مجلس الشيوخ جايمس م. إنْهوف عن ولاية أوكلاهوما قائلاً: «إنّ السبب الأهمّ» لضرورة دعم الولايات المتحدة لإسرائيل هو «أنّ اللّه قال ذلك... فتِّشوا عن ذلك في سِفْر التكوين... في سِفْر التكوين ١٣: ١٤ ـ ١٧... هذه ليست معركةً سياسيّةً على الإطلاق. إنّه صراعٌ على ما إذا كانت كلمةُ اللّه حقّاً أم لا.» فإذا تحوّلنا الآن إلى اليهود الأميركيِّين غدت الصورةُ أكثرَ قتامةً. فقد دعا نايثان ليوِنْ، وهو محامٍ محترم من واشنطن وزعيمٌ يهوديّ، إلى إعدام أفراد عائلات الانتحاريِّين الفلسطينيِّين. وأما نقادُ ليوِنْ المؤنِّبون، أمثالُ أستاذِ القانون البارز في جامعة هارڤرد آلان درِشْوويتز والمديرِ العامِّ للرابطة اليهوديّة المعادية للتشهير أبراهام فوكسمان، فقد اعتبروا اقتراحَ ليوِنْ «محاولةً مشروعةً لصياغة سياسةٍ لوقف الإرهاب.» وأوصى درِشْوويتْز، في ما يُمْكن تسميتُه بـ «مناورة ليديس،»** باتِّباع «ردٍّ جديدٍ على الإرهاب الفلسطينيّ،» وهو: «التدميرُ الفوريّ» لقرية فلسطينيّة بعد كلّ عمل إرهابيّ (فضلاً عن تشريع التعذيب ضدّ المشْتَبَه بإرهابهم). لكنّ اقتراح درِشْوويتز ليس جديدًا: فقد سَبَقَ لإسرائيل أن انتهجتْ هذه الاستراتيجيّةَ من الانتقامات الإجراميّة ضدّ المدنيِّين العرب في أوائل الخمسينيّات. وشَبَّهتْ جرائدُ أميركيّةٌ مجزرة قِبْيَه، التي ارتكبها آرييل شارون عام

---

٥٥ ـ Ari Shavit, "Many Israelis content to see Palestinians go," in Chicago Sun-Times (14 March 2002) (لاستفتاء مركز جافي). Ari Shavit, "Waiting for the sign," in Haaretz (22 March 2002). Tom Segev, "A black flag hangs over the idea of transfer," in Haaretz (5 April 2002). Gil Hoffman, "Fight on the right," in Jerusalem Post (10 May 2002). Lily Galili, "A Jewish demographic state," in Haaretz (28 June 2002). Cypel Sylvain, "Benny Morris, le nouvel historien, a rejoint le consensus israelien," in Le Monde (30 May 2002) (cf. Baudoin Loos, "Interview with Benny Morris," at http://msanews.mynet.net/Scholars/Loos/morris2001.html (25 February 2001), "The Arabs Are Responsible," in Yediot Aharonot (23 November 2001), "The Arabs Are The Same Arabs," in Between the Lines (December 2001), Benny Morris, "Peace? No chance," in Guardian (21 February 2002)).

وعن «الترانسفير» في الخطاب السياسيّ الإسرائيليّ منذ نشوء الدولة، انظرْ: Masalha, Land.

٥٦ ـ Yael Zerubavel, Recovered Roots (Chicago: 1995), p. 183; cf. p. 14. Teveth, Ben-Gurion, p. 36 («لمعجزة» بلفور). Louis, British Empire, p. 487 («لمجزة» التقسيم); cf. pp. 395, 445, 460. James McDonald, My Mission to Israel (New York: 1952), p. 176 («للتسهيل المعجز لمهمّات إسرائيل» في حرب ١٩٤٨).

* ـ السَّوَّاط: عُضوٌ في البرلمان يَعْهد إليه حزبُه بتطبيق الأنظمة الحزبيّة ويَحْمل نُوّابَ الحزب على حضور الجلسات. (المترجم)

** ـ ليديس: قرية في تشيكوسلوڤاكيا، شماليّ غربيّ پراغ. في حزيران ١٩٤٢ قُتل فيها مندوبُ النازيِّين في بوهيميا وموراڤيا. فانتقَمَ الألمانُ بإعدام حوالى مئتيْ مواطن. (المترجم)

١٩٥٣ وخلّفتْ حوالى ٧٠ قتيلاً من سكّان القرية (غالبيّتُهم من النّساء والأطفال)، بما حدث في ليديس.(٥٧)

في هذه الأثناء أُعيد في شباط (فبراير) ٢٠٠١ نَشْرُ خدعة جوان پيترِزْ الضخمة، وهي كتاب **منذ زمان سحيق**، الذي يَزْعم أنّ فلسطين كانت خاليةً قبل الاحتلال الصهيونيّ،(٥٨) وتصدّرتْ على الفور لائحةَ «أمازون» لأكثر الكتب مبيعًا بسبب المديح العاصف الذي أَسْبغتْه عليه المنظّماتُ والدوريّاتُ اليهوديّةُ الأميركيّة. وبعد أنْ كانت پيترز قد اختفت في غياهب النسيان عقب افتضاح كذبتها عادت اليومَ «مطلوبةً جداً لإلقاء المحاضرات» وهي تتلقّى (بحسب قولها) «من الحضور ردودًا رائعةً بشكل باهر، وإيجابيّةً بشكل كاسح.» وثمّة الآن فيلم توثيقيّ يستند إلى **منذ زمان سحيق**، وقد باشر مراحلَه التخطيطيّةَ الأولى، وعنوانُه ـ ويا للسخرية اللاذعة ـ هو «الأسطورة.»(٥٩) وبالمناسبة، يشكّل دعمُ الصهاينة لمزاعم پيترز السخيفة اعترافًا غيرَ مباشر بأنّه لو كانت فلسطينُ مأهولةً بالسكّان (وهو ما كان واقعَ الأمر تمامًا) لما أَمْكن الدفاعُ عن المشروع الصهيونيّ من الناحية الأخلاقيّة.

أما المؤرّخ الإسرائيليّ المحترم مارتن ڤان كريڤلْد فبعد أن أكّد أنّ شارون قد «أَضْمر على الدوام خطّةً واضحةً جداً ليست أقلَّ من تخليص إسرائيل من الفلسطينيّين،» افترَضَ وجودَ ذريعتَيْن بديلتَيْن تبرِّران خيارَ الطرد. **الأولى** هي أزمةٌ كونيّة تَحْرف الأنظارَ كـ «هجوم أميركيّ على العراق.» وفي هذا المجال يَجْدر أن نتذكّر أنّ بنيامين ناتانياهو حضّ الحكومةَ الإسرائيليَّةَ عامَ ١٩٨٩ على أن تستغلّ سياسيّاً الأوضاعَ المواتية، كمجزرة ساحة تايانانمن [وسطَ بكين]، من أجل القيام بأعمال طردٍ «ضخمة» حين يكون «الضررُ اللاحقُ بإسرائيل قليلاً نسبيّاً.» **الثانية** هي هجومٌ إرهابيٌّ مذهل «يَقْتل المئات [من الإسرائيليّين].» وبغضّ النظر عن الاحتمال الحقيقيّ (للأسف) لقيام الفلسطينيّين بمثل هذا الفعل الشنيع، فإنّ السجلّ التاريخيّ يَحْكم بأنّه ليس من المستبعَدِ أبدًا أن يكون شارون هو مَنْ يَسْتثيره. ويَخْلص ڤان كريڤلد على نحو معقول إلى أنّه على الرُّغم من اعتقاد «البعض بأنّ المجتمع الدوليّ لن يَسْمح بمثل هذا التطهير العرقيّ، فذلك شيءٌ لا أُعوِّل عليه. وإذا قَرَّرَ شارون المضيَّ قُدُمًا، فإنّ البلدَ الأوحدَ القادرَ على وقفه هو الولايات المتحدة. لكنّ الولايات المتحدة تَعْتبر نفسَها في حرب مع أجزاء من العالم الإسلاميّ دَعَمَتْ أسامة بن لادن، ولهذا لن تَعْترض بالضرورة على أن يُلقَّن العالَمُ الإسلاميُّ درسًا.»(٦٠) الخوف الأساسيّ في أميركا هو أن يستدعيَ طردُ الفلسطينيّين ردَّ فعلٍ من «الشارع العربيّ» بإسقاط أنظمته التابعة. ولكنْ سبَقَ للنُّخب الأميركيّة أن أَضْمرتْ خوفًا مشابهًا مرتيْن قبل الآن: عشيَّةَ الاعتداء على العراق، وعشيّةَ الحرب على أفغانستان. وفي الحالَيْن تَبيَّن أنّ الخوف لا يَسْتند إلى أساس. وقد تُجرِّب إدارةُ بوش الابن حظَّها من جديد، متوقّعةً أن يكون «الشارعُ العربيُّ» محضَ خرافة.

ويبقى السؤال: ما الذي سيؤدّي إلى انسحاب إسرائيليّ كامل من المناطق المحتلّة عام ٦٧، وإلى تجنُّبِ الكارثة المُحْدقة؟ «إنّ النزوعَ الأساسيَّ في السياسة الإسرائيليّة وفي الشعب الإسرائيليّ،» كما يلاحظ الكاتبُ الإسرائيليُّ البصير بواز ايڤرون، «هو حلُّ المشاكل عبر استخدام القوة، واعتبارَ القوّة هي الأساس الأوحد، بدلاً من تجريب الحلول الديبلوماسيّة والسياسيّة،» وأنّ الحدود مع الدول العربيّة المجاورة «أحد متغيّرات علاقات القوة لا غير.» وبالمثل يَطْرح زئيڤ ستيرنهل أنّ ثمّة عقيدةً صهيونيّةً تقول بـ «عدم التخلّي عن موقعٍ أو أرضٍ ما لم يُدْفَع المرءُ إلى ذلك من قوّةٍ عليا.» وفي هذا الصدد يَجْدر أيضًا أن لا ننسى ما سمّاه ڤان كريڤلد «المنزلةَ الفريدةَ» التي تحتلّها القيمُ العسكريّةُ والحربيّةُ في المجتمع الإسرائيليّ: «إنّها منزلةٌ شبيهةٌ فقط بمنزلة القوات المسلّحة في ألمانيا بين عامَيْ ١٨٧١ و١٩٤٥.» (إنّ الإطراءَ الأعظمَ الذي يُمْكن أن يناله أيُّ

٥٧ ـ (للحديث عن ديلاي وآرمي) "Hardball with Chris Matthews," Transcript (1 May 2002) at http://www.adc.org/action/2002/02May2002.htm. "Peace in the Middle East," Senate Floor Statement by U.S. Sen. James M. Inhofe (R-Okla), at http://inhofe.senate.gov/fl030402.html (4 March 2002). Ami Eden, "Top Lawyer Urges Death For Families of Bombers," in Forward (7 June 2002). Alan Dershowitz, "New response to Palestinian terrorism," in Jerusalem Post (11 March 2002). Alan Dershowitz, Shouting Fire (New York: 2002), pp. 476-7. Benny Morris, Israel's Border Wars, 1949-1956 (Oxford: 1993), chap. 8 (لمجزرة قِبْيَه). Ritchie Ovendale, Britain, the United States and the Transfer of Power in the Middle East, 1945-1962 (New York: 1996), p. 97 (لتشبيه الجرائد الأميركيّة). I&R, pp. 112-4, and Ben-Eliezer, Making, chaps. 1-2

٥٨ ـ I&R, chap. 2.

٥٩ ـ الجمل المقتبسة والمعلومات عن خطة الفيلم مأخوذة من "The Rehabilitation of Joan Peters: Discredited Author Finds a New Audience," in The Rittenhouse Review (19 June 2002) at http://rittenhouse.blogspot.com/2002_06_16_ritenhouse_archive.html.
ولنشر أسطورة پيترز من قبل منظّمات يهوديّة كنديّة، انظرْ: Myron Love, "Arab journalist puts lie to Palestinian claims," in Cannadian Jewish News (21 February 2002)..

٦٠ ـ (لكلام كريڤلد) "Sharon's plan is to drive Palestinians across the Jordan," in Sunday Telegraph, 28 April 2002. Menachem Shalev, "Netanyahu recommends large-scale expulsions," in Jerusalem Post (19 November 1989).

إنسـان هو أن يُقـال له إنّه' مـحـارب!' » و«إنّ المديحَ الأعلى الذي يُمْكن أن يُضفيه إنسانٌ على أيّ أمرٍ هو أن يقول إنّ هذا الأمر 'يُشْبه عمليّةً عسكريّةً!' »[٦١] والاستنتاج المنطقيّ هو أنّ إسرائيل لن تَنْسحبَ من الأراضي المحتلّة إلاّ إذا استطاع الفلسطينيُّون (وأنصارُهم) استجماعَ قوّةٍ كافيةٍ لتغيير حسابات الخسائر في إسرائيل: أيْ جَعْل ثمن الاحتلال أبهظَ من أن يُحْتمل. والحقّ أنّ السجلّ التاريخيّ يَدْعمُ هذه الفرضيّة. فإسرائيل انسحبتْ من مناطقَ احتلّتْها في ثلاث مناسبات: من سيناء المصريّة عامَ ١٩٥٧ بعد إنذار آيزنهاور، ومن سيناء مجدّدًا عام ١٩٧٩ بعد عَرْض مصر الباهر على نحوٍ غيرِ متوقّع في حرب أكتوبر ١٩٧٣، ومن لبنان في عاميْ ١٩٨٥ و٢٠٠٠ بسبب الخسائر التي ألحقتْها بها المقاومةُ اللبنانيّة. كما يبدو، علاوةً على ذلك، أنّ النُّخبَ الإسرائيليّة الحاكمة قد فَكَّرتْ جدياً في الانسحاب من بعض المناطق الفلسطينيّة المحتلّة أثناء الفترة المبكّرة من عمر الانتفاضة الأولى (١٩٨٧ ـ ١٩٨٩) بسبب الأكلاف الدوليّة والمحليّة التي أوقعتْها الثورةُ الفلسطينيّةُ بإسرائيل.

لا تبدو الحربُ التقليديّة، ولا حربُ العصابات، خياريْن فلسطينيَّيْن قابليْن للحياة. فالإرهاب ضدّ المدنيّين ـ عدا عن كونه أمرًا يستحقّ الشجبَ من الناحية الأخلاقيّة (وإنْ كان يُمْكن تفهُّمُه) ـ لن يُزحزح إسرائيلَ على الأرجح. ذلك لأنّ النُّخب الإسرائيليّة تتقبّل أن يكون الضحايا المدنيّون ثمنًا ضرورياً، وإنْ مؤسفًا، للبقاء في موقع القوة. ولا تَكْترث تلك النُّخبُ إلاّ حين يعاني **العسكرُ** الإسرائيليُّون الخسائرَ، أو حين تَضْعف طاقتُهم الرادعة. تأمّلْ في هذا المجال تقويمَ ستيرنهل لوقع الانتفاضة الجديدة على إسرائيل:

«إنّ عدد الضحايا المدنيّين الإسرائيليّين هذا العامَ أكبرُ بكثيرٍ من عدد الجنود الذين قُتلوا أو جُرحوا. إنّ الجيش في نهاية المطاف يخوض حربًا مُتْرفة: يَقْصف ويَقْذف مدنًا وقرًى لا تستطيع الدفاعَ عن نفسها، وهذا الوضعُ مُواتٍ للجيش الإسرائيليّ وللمستوطنين معًا. فهذان الطرفان يُدْركان جيّدًا أنّه لو تَكبَّد الجيشُ خسائرَ من حجم ما حَدَثَ له في لبنان، لكنّا الآن على طريق الخروج من المناطق [الفلسطينيّة] المحتلّة. إنّنا نرى إلى موت المدنيّين في أعمال إطلاق النار أو على يد الانتحاريّين المجانين في قلب مدننا، بما في ذلك إبادةُ عائلاتٍ بأكملها، قضاءً لا رادَّ له أو عملاً من أعمال الطبيعة. غير أنّ موتَ **الجنود** يَطْرح على الفور الأسئلةَ الدقيقةَ التالية: ما هي أهدافُ الحرب؟ لأيّ غرض يموت الجنودُ؟ مَنْ أرسلهم إلى حتفهم؟ فمادامت القواتُ المجنَّدة الإلزاميّةُ لا تَدْفع ثمنًا أغلى ممّا ينبغي، ومادام جنودُ الاحتياط لا يُستدعَوْن بأعداد ضخمة لحماية الاحتلال والدفاع عنه، فإنّ سؤال 'لماذا' لا يقرِّر الأَجَنْدةَ الوطنيّةَ [الإسرائيليّة].»[٦٢]

وبالمثل، تَشْهد أدلّةٌ تاريخيّةٌ وافرة ـ من القصف العشوائيّ الذي قامت به دولُ المحور لألمانيا، إلى القصف الأميركيّ العشوائيّ لڤيتنام ـ أنّ المدنيّين الإسرائيليّين لن يَسْتسلموا على الأرجح للعمليّات الإرهابيّة. وبالمناسبة، فإنّه ممّا لا شكّ فيه أنّ الإرهابَ اليهوديّ حَفَّزَ القرارَ البريطانيَّ على إنهاء الانتداب عام ١٩٤٧، ولكنّ السببَ الأساسيّ لهذا الانسحاب كان عجزَ بريطانيا الماليَّ بعد الحرب العالميّة الثانية.[٦٣]

يَحْمل لجوءُ الفلسطينيّين الحاليّ إلى العمليّات الإرهابيّة ضدّ المدنيّين الإسرائيليّين شَبَهًا غريبًا، في عدد من وجوهه، بحملة الإرهاب الصهيونيّة بعد الحرب العالميّة الثانية ضدّ الاحتلال البريطانيّ لفلسطين. فمع أنّ بن غوريون والقوّةَ الصهيونيّةَ التي كان يرئسها (وهي الوكالة اليهوديّة) شَجَبا رسميّاً الإرهابَ الموجَّهَ إلى البريطانيّين، فإنّهما لم يتعاونا مع هؤلاء في القبض على الإرهابيّين المشتبهِ بهم ولا في مجرَّدِ مناشدةِ اليهود احترامَ القانون. فمن جهةٍ أكّد بن غوريون أنّه، من حيث المبدأ، لا يستطيع أن يساعد في فرض احتلالٍ ظالم، وكَتَبَ إلى المسؤولين البريطانيّين يقول: «تَعْتبر السلطةُ التنفيذيّة [اليهوديّة]، ومن غير أن تتغاضى في أدنى قَدْرٍ عن الأعمال [الإرهابيّة] المرتكبة، أنّ السياسةَ الحاليّةَ التي تتّبعها حكومةُ الانتداب... هي المسؤولُ الأساسيُّ عن الوضع المأساويّ المتفاقم في فلسطين. إنّ السلطة التنفيذيّة لا تستطيع أن توافق على أنّه سيكون من العدل أن تُطالَبَ بأن تَظْهر في الموقف البغيض المساعِدِ على تطبيق تلك السياسة.» ومن جهة ثانية، دافع بن غوريون عن نفسه بالقول إنّه فَقَدَ السيطرةَ على المجموعات اليهوديّة التي لم تَعُدْ تَقْبل الاحتلالَ. واستنتجتْ إحدى الدراسات البريطانيّة المعاصرة أنّ المسؤولين الصهاينة سبق أن أجّجوا الإرهابَ اليهوديَّ، ولكنّها تقول أيضًا إنّهم لم يعودوا يستطيعون وقفَه: «بإثارتهم المستوطنين اليهودَ من خلال الدعاية المتواصلة المعادية للبريطانيّين وللحكومة، أجّجوا الشبّانَ اليهودَ والشابّات اليهوديّات إلى حدٍّ أنْ تلقّت المنظّماتُ الإرهابيّةُ حافزًا من التجنيد والتعاطف معًا. عندها وَجدت الوكالةُ اليهوديّةُ نفسَها غيرَ قادرةٍ على التراجع إلاّ أن تَخْسر سلطتَها على اليهود، فدُفِعتْ إلى أبعادٍ أعظمَ من التطرّف. حقّاً، إنّ مدى تعاون هذه الوكالة مع المنظّمات الإرهابيّة يعتوره بعضُ الشكّ... لكنْ ثمّة بعضُ الأدلّة على أنّ الوكالة كانت على علْم مسبّق

٦١ ـ Boas Evron, Jewish State Or Israeli Nation? (Bloomington, IN: 1995), pp. 169, 237. Sternhell, Founding Myths, p. 331. Martin van Creveld, The Sword and the Olive (New York: 1998), pp. 123-5, 154.

٦٢ ـ Zeev Sternhell, "Balata has fallen," in Haaretz (8 March 2002).

٦٣ ـ Cohen, Palestine, pp. 247, 249. Lewis, British Empire, pp. 467, 476.

بمعظم العمليّات التي جَرَتْ.» وقد أكّدتْ اكتشافاتٌ لاحقةٌ ذلك التعاون: فمثلاً أَسفِت الوكالةُ اليهوديّة علنًا للهجوم الإرهابيّ الكبير على فندق الملك داوود وأدّى إلى مقتل حوالى ٩٠ شخصًا، غير أنّها كانت قد وافقتْ مسبّقًا على استهداف هذا الفندق. إنّ الإدانة الصهيونيّة الرسميّة، على نحوِ ما كَتَبَ أحدُ المؤرِّخين، «تَضَمَّنَتْ أكثرَ من نُتفةٍ من النفاق والانتهازيّة.»[٦٤]

«ما لم يكن ممكنًا تحمُّلُه ـ لكنّه كان يحدث فعلاً ـ هو محاولةُ كسب [الوكالة اليهوديّة] للأمرَيْن معًا.» هذا ما لاحظه أحدُ نوّاب حزب العمّال البريطانيّ المتعاطفين [مع اليهود] الموجودين على مسرح الأحداث. ويَقْصد بالأمرَيْن «مطالبةَ الوكالة اليهوديّة بنيل حقوقها الدستوريّة لكونها متعاونةً مُخْلصةً مع الانتداب، وأن تنظِّم ـ في الوقت نفسه ـ أعمال التخريب والمقاومة!» ففي حين سعى بن غوريون إلى «أن يبقى، بصفته رئيسًا للوكالة، ملتزمًا نصَّ القانون» وذلك بإدانته الرسميّة للإرهاب، إلاّ أنّه «تقبَّل أيضًا الإرهابَ سبيلاً للضغط على الإدارة [الانتدابيّة].» وقد وافق القادةُ الصهاينةُ على الهجمات اليهوديّة القاتلة لسبب آخر أيضًا، بحسب النائب البريطانيّ نفسه. فالإرهاب اليهوديّ كان «يتلقّى دعمًا شعبيّاً» لأنّ «اليهود الأوادم في فلسطين لا يَمْلكون إلاّ أن يُعْجَبوا بالإرهابيِّين، بل أن يساعدوهم حين يلجأون إلى بيوتهم [هربًا].» لقد كان على بن غوريون والوكالة اليهوديّة أن «يتقبّلا الإرهاب» لكي «يَحُولا دون انقلاب الرأي العامّ» إلى تأييد الأحزاب الصهيونيّة والابتعادِ عنهما. واستنتج النائبُ نفسُه أنّ الطريق الوحيدة لمحاربة الإرهاب اليهوديّ كانت «إزالةَ الشكاوى المشروعة لكلّ يهوديّ في فلسطين» و«السردَ بموضوعيّةٍ الأسبابَ التاريخيّةَ لنموّ هذه الظاهرة البَهيميّة في شعب آدميّ.» فإنْ فَعَلَ البريطانيُّون ذلك فسيستطيعون «الاعتمادَ على دعم العناصر المعتدلة في قمع الإرهاب، وأعتقد أنّ غالبيّة الشعب ستنقلب على الإرهابيِّين.» أما إذا تجاهَلَ البريطانيّون أسبابَ دعم اليهود للإرهاب، واكتفَوْا بالمطالبة «باستبدال الوكالة اليهوديّة بمنظّمة أخرى، وبنزع سلاح المقاومة اليهوديّة،» فإنّهم بذلك ـ على ما نَبَّهَ النائبُ البريطانيّ ـ يحرِّضون «اليهودَ على تقديم دعمٍ أعمى للمتطرِّفين.»[٦٥]

حين فَرَضَ البريطانيّون الأحكامَ العُرْفيةَ ردّاً على هجمات صهيونيّة إرهابيّة متعدّدة («إنّ الأعمال الهمجيّة التي مارسها النازيّون لا يمكن أن تَفُوق» تلك الهجماتِ، كما كتبتْ لاحقًا مجلةُ **تايمز** اللندنيّة الرزينة)، شَجَبَ بن غوريون بحماسٍ تلك الإجراءاتِ الوحشيّةَ لأنّها تُوقع عقابًا جماعيّاً بالشعب اليهوديّ وتعوِّق فعليّاً النضالَ ضدّ الإرهاب. هذا الشجب يستحقّ أن نوردَه بنصّه الكامل، إنْ لم يكن لشيء فلترجيعِه أصداءً معاصرةً:

«[ثمة] مئتان وخمسون ألف يهوديّ من تل أبيب وضواحيها، وهي قلبُ الحياة الاجتماعيّة والصناعيّة في البلاد، وثلاثون ألفًا من اليهود في القدس، التي معظمُها أحياءٌ تَسْكنها الطبقةُ العاملةُ ـ وكلّهم بعيدون عن الاحتكاك الطبيعيّ بالعالم الخارجيّ، ويواجهون انهيارًا كاملاً لآليّات الحياة المتحضِّرة، ناهيك عن نقص الموادّ الغذائيّة وهزال الخدمات الطبيّة. الصناعة معوَّقة، والتجارة مشلولة، والبطالة تهدِّد بأن تصبح كارثيّةً. الموادّ الصناعيّة الخامّ لا يُمْكن أن تَدْخل، والسِّلَعُ المصنَّعة بالمخزون المتوفِّر لا يُمْكن أن تُسوَّق في الخارج. العمّال لا يستطيعون الوصول إلى أماكن عملهم، ولا الأطفالُ إلى مدارسهم. هذه القيود لم تؤثِّر في الإرهابيِّين ولا أَوْقفت اعتداءاتِهم، بل زادت من استياء الشعب المنكوب، وخَلَقَتْ تربةً خصبةً للدعاية الإرهابيّة، مُحْبِطةً سعيَ المجتمع [اليهوديّ] إلى محاربة الإرهاب. إنّ الأحكام العرفيّة غيرُ ذات جدوى على الإطلاق ولا معنى لها، إلاّ إذا قُصِدَ بها معاقبةُ المجتمع بأسره وتدميرُ اقتصاده وهدمُ أسس الوطن القوميّ اليهوديّ.»[٦٦]

لكنْ يَجْدر التذكّر أيضًا أنّه على الرُّغم من أنّ الاعتداءات الإرهابيّة اليهوديّة (حوالى ٢٠ اعتداءً كلَّ شهر) خَلَّفَت المئات من القتلى والجرحى البريطانيِّين، فإنّ البريطانيِّين «لم يُطْلقوا النارَ عمدًا على الحشود أبدًا،» و«لم تَحْدث مجزرةٌ يهوديّةٌ ضخمة أبدًا، ولم تُنسفْ مستوطناتٌ يهوديّةٌ كاملةٌ بالمتفجِّرات.» والسبب وراء ضبط النفسِ هذا، بحسب ڤان كريڤلد، كان «إقرارَ البريطانيِّين بأنّ اليهود يشكِّلون عِرْقًا 'نصفَ أوروبيّ'.» وعلى النقيض من ذلك، يُعاني الفلسطينيّون على يد إسرائيل المصيرَ القاتل الذي عاناه غيرُ الأوروبيِّين.[٦٧]

إنّ تمرُّدًا فلسطينيّاً مدنيّاً ولاعنفيّاً، مُسْتندًا على نحوٍ خلاّقٍ إلى دروس الانتفاضة الأولى، ومتزامنًا مع ضغط دوليّ ـ ولاسيّما أميركيّ ـ على إسرائيل، هو الذي يَحْمل على الأرجح أكثرَ الوعود الطيّبة في الأزمة الحاليّة. فمثلُ هذا التمرّد قد يشلّ الجيشَ الإسرائيليَّ ويحيِّده. لقد كان واحدًا من أعظم مخاوف إسرائيل أثناء الانتفاضة الأولى خسارةُ جيش الدفاع الإسرائيليّ لمعنوياته وزَخمه حين راح يَسْعى إلى إخضاع المدنيِّين الفلسطينيِّين بالعنف، وتناقصُ طاقة هذا الجيش على خوض «حربٍ **حقيقيّة**» كالتي

---

٦٤ ـ Cohen, *Palestine*, pp. 69, 79, 90-1, 230, 238-9.

ولمزيد من مناقشة هذا الأمر، بما في ذلك دعمُ اليهود الأميركيِّين لحملة الإرهاب الصهيونيّة، أنظرْ: David Hirst, *The Gun and the Olive Branch* (London: 1977), pp. 108-123.

٦٥ ـ Crossman, *Palestine*, pp. 129, 169-70, 178-81.

٦٦ ـ Cohen, *Palestine*, p. 239, 245 (لافتتاحيّة تايمز).

٦٧ ـ van Creveld, *Sword*, pp. 57-61.

تَدَرَّب عليها وانخَرطَ في «عمليّاتها ذاتِ الطابع البوليسيّ.» (التشديد في الأصل)[٦٨] والحقّ أنّ هناك اليوم أصلاً مخزونًا من الدعم الفلسطينيّ لمثل هذه الإستراتيجيّة من العصيان المدنيّ.[٦٩] فإذا استطاعت قيادةٌ فلسطينيّة أن تعبّئ هذه الجماهيرَ بنجاح، فستكون هناك أسبابٌ معقولة للأمل في أن تَلْقَى رسالتُها صدًى طيّبًا في صفوف الكثير من الإسرائيليّين. لقد استحثّتْ حركةُ الاحتجاج في صفوف المجنَّدين الإسرائيليّين سجالاً على مستوى إسرائيل بأسرها. وعلى الرُّغم من أنّ الإسرائيليّين سَجّلوا تأييدًا كبيرًا لقمع شارون الوحشيّ للفلسطينيّين، فإنّهم دَعَموا بنسبٍ متساويةٍ تقريبًا الانسحابَ الإسرائيليَّ من الضفة الغربيّة وغزة.[٧٠]

أما الولايات المتحدة فلن تَفْرض على إسرائيل الانسحابَ الكاملَ من المناطق المحتلّة عامَ ٦٧ إلاّ حين تتعرّض مصالحُها الحيويّةُ للخطر، أو يَدْفعها الضغطُ الشعبيُّ إلى ذلك. وقد يأتي مثلُ هذا الضغط في المستقبل. فتأييدُ الأميركيّين العاديّين لإسرائيل انخفض بشكلٍ واضح.[٧١] وثمة حملةٌ موجودةٌ أصلاً وتتعاظم في الجامعات الأميركيّة من أجل سحب الاستثمارات الأميركيّة من إسرائيل، وهي تَبْلغ في حجمها وعمقها ما تلعبه الحركةُ المعاديةُ للأپارتايد الجنوبأفريقيّ.[٧٢] وإذ وَضَعَ رئيسُ الأساقفة الجنوبأفريقيّ دزموند تُوتُو موقعَهُ الرفيعَ لدعم هذه الحملة، فقد حثّ «المواطنين العاديّين على أن يكونوا من جديد على مستوى المرحلة، لأنّ العوائقَ المنصوبةَ أمام حركة متجدِّدةٍ [معاديةٍ للفصل العنصريّ] لن يتمّ تجاوزُها إلاّ بضرورتها الأخلاقيّة الملحّة.»[٧٣] وواقع الأمر أنّ الأوروبيّين يفكّرون في القيام بسلسلة من الأفعال، من مقاطعة السِّلع الإسرائيليّة إلى حظر تصدير الأسلحة إلى إسرائيل، في الوقت الذي سافر فيه عددٌ كبيرٌ من المتطوّعين الأمميّين الشجعان (بمن فيهم كثيرٌ من اليهود) إلى الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة من أجل حماية المدنيّين الفلسطينيّين من الاعتداءات الإسرائيليّة ولنشر أخبار الفظائع الإسرائيليّة في العالم. بيْد أنّ مبرِّري أعمال إسرائيل، أمثالَ ڤيزل، يَعْتبرون هذه المبادراتِ برهانًا على انبعاث العداء للساميّة. ومن قبيل الاستخفاف بمزاعمَ شبيهةٍ بزعم ڤيزل كانت قد وَرَدتْ بعد اجتياح إسرائيل للبنان عامَ ١٩٨٢، رَدَّ الأكاديميُّ الإسرائيليُّ المحترم أوريل تال بالقول: «إنّ الصيْحات المُرَّة عن وجود معاداةٍ للساميّة يُزعَم أنّها تُطِلُّ برأسها من جديد على امتداد العالم إنّما تَهْدف إلى حجب حقيقةِ أنّ ما يتفسَّخ في العالم هو موقعُ **إسرائيل**، لا موقعُ اليهود. إنّ الاتّهامات بالعداء للساميّة لا تَسْتهدف سوى تأجيج مشاعرِ الجمهور الإسرائيليّ، وزرع الكراهية والتعصُّب، وغرسَ هاجس جنون الارتياب فيهم، وكأنّ العالَمَ بأسره يَضْطَهدنا، أو كأنّ كلَّ الشعوب الأخرى في العالم ملوَّثةٌ، في حين أنّنا وحدَنا أنقياءُ أصفياء.» ولكنْ من المؤكّد أنّ موقع **اليهود** في العالم سيتفسَّخ حقّاً لا زعمًا إنْ لم يتنصّلوا علنًا من جرائم إسرائيل. وفي شجبٍ مُتَّقدٍ حماسةً للسياسة الإسرائيليّة الحاليّة التي «لَطّختْ نجمةَ داوود بالدم،» أسف أحدُ النوّاب العمّاليّين البريطانيّين المخضرمين، وهو أيضًا عضوٌ يهوديٌّ بارزٌ في البرلمان، أن يكون «الشعبُ اليهوديُّ... يُرمَز إليه اليومَ، وعلى امتداد العالم، بالمستأسِد المتوعِّد آرييل شارون، مجرمِ الحرب الضالع في قتلِ الفلسطينيّين في مخيميْ صبرا وشاتيلاَ والمتورِّطِ الآن من جديدٍ في قتل الفلسطينيّين.»[٧٤]

«لئن انتهى الأپارتايد، فالاحتلال يمكن أن ينتهي هو أيضًا!» هذا ما يستنتجه الأُسقف تُوتُو، مضيفًا: «ولكنْ على القوّة الأخلاقيّة والضغط الدوليّ أن يكونا بالعزم نفسه.» وفي هذه الحملة يستطيع جميعُ الناس العاديّين في العالم ـ بل يجب عليهم ـ أن يَلْعبوا دورًا قائدًا. والتحدّي الأكبرُ اليومَ، كما هو الحالُ دومًا، هو في تطبيق معيارٍ أخلاقيٍّ واحدٍ في جميع الحالات. ويَجْدر بهذا أن يكون مبدأً واضحًا لكلّ الحريصين على دروس الهولوكوست النازيّة: كي لا تتكرّر أبدًا... لأيٍّ كان!

«كلَّ صباحٍ في هذه الأيام أستيقظ قربَ البحر الأبيض المتوسّط في بيروت وأنا أَشْعر بإحساسٍ كبيرٍ بنُذُر الشؤْم،» هذا ما تأمّله الصحفيّ البريطانيُّ البصير العاملُ في الشرق الأوسط روبرت فيسك. «ثمة عاصفةٌ من النّار قادمةٌ ونحن نتجاهلُ برضًى قدومَها؛ بل نحن، في واقع الأمر، نَعْمل على إثارتها.»[٧٥]

إنّ طرد الفلسطينيّين، عدا عن كونه فظاعةً أخلاقيّة، قد يُطْلِقُ سلسلةً من ردود الأفعال في العالم العربيّ بحيث تبدو أحداثُ ١١ أيلول وكأنّها حفلة سمر بالمقارنة بها. غير أنّنا مازلنا إلى هذه اللحظة قادرين على الإمساك بهذه الأوقات العصيبة وتحقيقِ سلامٍ عادلٍ ودائمٍ للصراع الفلسطينيّ ـ الإسرائيليّ.

نيويورك

٦٨ ـ van Creveld, Sword, pp. 361-2.

٦٩ ـ Edward Said, "A New Current in Palestine," in Nation (4 February 2002).

٧٠ ـ للمزيد عن المنشقّين الإسرائيليّين وحركةِ المعارضة في صفوف المجنّدين، انظرْ: Roane Carey and Jonathan Shainin (eds), The Other Israel (New York: 2002).

٧١ ـ Janine Zacharia, "Poll shows Americans' support for Israel in decline," in Jerusalem Post (13 June 2002).

٧٢ ـ Alisa Solomon, "Stop American Billions for Jewish Bombs," in Village Voice (26 December 2001). Liza Featherstone, "The Mideast War Breaks Out On Campus," in Nation (17 June 2002).

٧٣ ـ Desmond Tutu, "Build moral pressure to end the occupation," in International Herald Tribune (14 June 2002), and Desmond Tutu and Ian Urbina, "Against Israeli Apartheid," in Nation (15 July 2002).

٧٤ ـ Evron, Jewish State, p. 96 (الكلام لتال). Nicholas Watt, "MP accuses Sharon of 'barbarism,'" in Guardian (17 April 2002).

٧٥ ـ Robert Fisk, "There is a firestorm coming, and it is being provoked by Mr Bush," in Independent (25 May 2002).